أساليب المدح والذم غير المبوب لها في كُتُبِ النَّحْوِ

دراسة تحليلية

الدكتور

عبد الجليل عبد المحسن عبد العظيم

كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

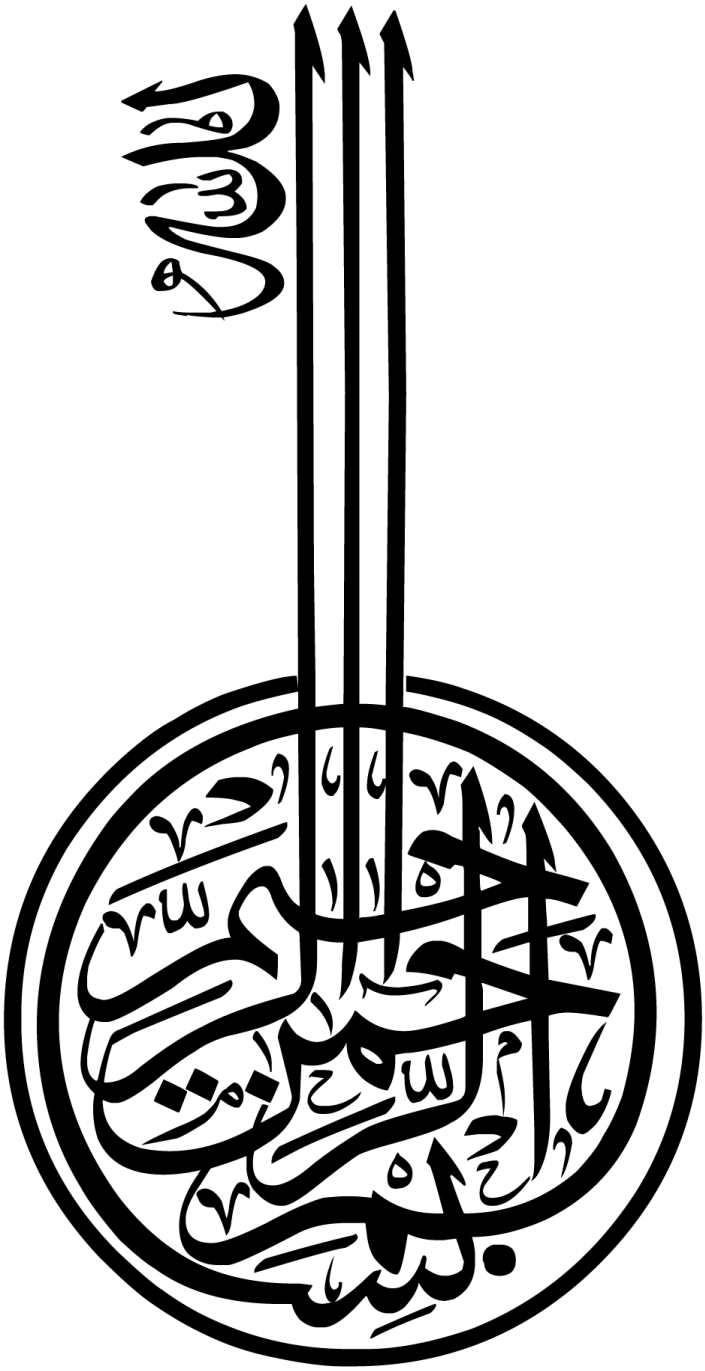

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أنعم الله- تعالى- عليّ بكتابة هذا البحث في: (أساليب المدح والذم غير المبوب لها في كتب العربية)، تناولت فيه أكثر الألفاظ والأساليب التي ذكر النحاة واللغويون أنها تفيد المدح أو الذم، ولم يضعوها تحت قاعدة أو ضابط كلي، بل جاءت مبثوثة في أبواب النحو وكتب اللغة المختلفة، فقمت بجمعها ودراستها دراسة تحليلية، تكشف عن: معانيها، وإعرابها، وأوجه استعمالها، وآراء علماء العربية فيها، مع الترجيح بين الأقوال والآراء إذا تطلب المقام ذلك.

وقد جاء البحث على النحو التالي:

١- مقدمة: وتشتمل على موضوع البحث، ومنهج دراسته، وخطة البحث.

٢- تمهيد: وفيه نبذة عن ألفاظ المدح والذم في اللغة العربية.

٣- المبحث الأول: فيما يستعمل في المدح دون الذم، وهو يتضمن ست عشرة مسألة.

٤- المبحث الثاني: فيما يستعمل في الذم دون المدح، ويتضمن مسألتين.

٥- المبحث الثالث: فيما يستعمل في المدح والذم، ويتضمن ست مسائل.

٦- المبحث الرابع: فيما يحتمل المدح والذم معًا، ويتضمن أربع مسائل، وقد أفردتها بمبحث مستقل؛ لأنها من قبيل الأضداد اللغوية.

٧- الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

٨- ملحق الفهارس.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

تمهيد

ألفاظ المدح والذم

في اللغة ألفاظ وأساليب كثيرة تدل على المدح أو الذم، بعضها يدل على هذا المعنى دلالة صريحة؛ لأنه وُضع له من أول الأمر نَصًّا، وبعضها لا يدل عليه إلا بقرينة. فمن الأول الذي يدل على المدح أو الذم دلالة صريحة قولك: أَمْدَحُ، أُثْنِي، أَسْتَحْسِن ... أَذُمّ، أَهْجُو، أَسْتَقْبحُ ... وأشباهها، ومنها: الجميل، العظيم، الفاضل، الماجد، البخيل، الحقود، الخائن ... وغيرها من ألفاظ المدح والذم الصريحين.

ومن هذا النوع: (نعم، وبئس) وما جرى مجراهما من الألفاظ التي تدل نصًّا على المدح أو الذم، وتمتاز (نعم، وبئس) عن بقية ألفاظ المدح والذم بأحكام خاصة بهما، دون نظائرهما من النوع الصريح، وأشهر هذه الأحكام ما يأتي(١):

١- دلالة (نعم) على المدح العام، و(بئس) على الذم العام، واعتبار كل منهما في هذه الحالة فعلًا ماضيًا، لازمًا، جامدًا، لا بد له من فاعل، قال سيبويه:

---

(١) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٤١- ١٤٩، وعلل النحو للوراق: ٢٩٠، واللمع في العربية: ١٤٠، والمفصل: ٣٦١- ٣٦٣، وشرح الكافية الشافية: ٢/ ١١٠٥، واللمحة في شرح الملحة: ١/ ٤٠٥، ٤٠٧، وأوضح المسالك: ٣/ ٢٤٠، ٢٤٧، والتصريح بمضمون التوضيح: ٢/ ٧٧، ٧٨.

"وأصلُ نعمَ وبئسَ: نعم وبئسَ، وهما الأصلان اللذان وُضعا في الرداءة والصلاح، ولا يكونُ منهما فعلٌ لغير هذا المعنى"(١).

٢- يكثر في فاعلهما أن يكون معرّفًا بـــ(أل)، نحو: نِعْمَ الولدُ البارُّ، وبئسَ الولدُ العاقُّ. أو مضافًا إلى المعرف بـــها، نحو: نعمَ رفيقُ الهجرةِ أبو بكرٍ، وبئسَ صاحبُ الدار المنافقُ، أو مضافًا إلى المضاف إلى المعرف بها، نحو: نعمَ قارئُ كتبِ اللغةِ محمدٌ، وبئسَ زارعُ أرضِ الحديقةِ خالدٌ. أو أنْ يكون ضميرًا مستترًا مفسَّرًا بنكرة بعده، نحو: نعم معشرًا الأنصارُ، وبئس معشرًا اليهودُ.

٣- حاجتهما- في الغالب- إلى اسم مرفوع بعدهما هو المقصود بالمدح أو الذم، ويسمى: (المخصوص بالمدح أو بالذم)، ويشترط فيه أن يكون معرفة أو نكرة مختصة، وأن يكون مطابقًا لفاعلهما في المعنى. وإلى ذلك يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

فِعْـلاَنِ غَيْرُ مُتَصَرِّفَـــيْنِ ☆☆ (نِعْمَ) وَ(بِئْسَ) رَافِعَانِ اسْمَـيْنِ

مُقَارِنَيْ (أَلْ) أَوْ مُضَافَيْنِ لِمَا ☆☆ قَارَنَهَا كَـ(نِعْمَ عُقْبَى الكُرَمَا)

وَيَرْفَعَانِ مُضْمَرًا يُفَسِّـــرُهْ ☆☆ مُمَيِّزٌ كَـ(نِعْـمَ قَـوْمًا مَعْشَـرُهْ)(٢)

ويجري مجرى (نعم) في المدح العام: (حبّذا)، ومجرى (بئسَ) في الذمّ العام: (لا حبّذا)، تقول: حبّذا الصاحبُ المؤمنُ، ولا حبّذا المنافِقُ.

---

(١) الكتاب: ٢/ ١٧٩.

(٢) ألفية ابن مالك: ٤٣.

ويجري مجرى (بئس) أيضًا: (ساءَ)، نحو: ساءَ البخيلُ عليٌّ، فمعناهما واحدٌ، وهو الذم العام، وكذلك أحكامهما.

وكذلك يجري مجرى (نعمَ) و(بئسَ) في المدح والذم: كل فعل ثلاثي حوِّل إلى صيغة (فَعُلَ) بضم العين، نحو: فهُم محمدٌ، وفقُه خالدٌ، وبخُل زيدٌ، وسفُه المنافقُ. ويشير ابن مالك إلى ذلك في ألفيته، فيقول:

وَاجْعَلْ كَـ(بِئْسَ) سَاءَ وَاجْعَلْ فَعُلَا ☆☆ مِنْ ذِي ثَلاثَةٍ كَـ(نِعْمَ) مُسْجَلَا

وَمِثْلُ (نِعْمَ): (حَبَّذَا) الفَاعِلُ ذَا ☆☆ وَإِنْ تُرِدْ ذَما فَقُلْ: (لا حَبَّذَا)[1]

حَبَّذَا)[1]

ومن النوع الثاني الذي يحتاج في دلالته على المدح أو الذم إلى قرينة ألفاظ كثيرة، قد تضم أحيانًا إلى معناها الخاص دلالتها على المدح أو الذم بقرينة، وهذه الألفاظ منها ما يستعمل في المدح وحده، ومنها ما يستعمل في الذم وحده، ومنها ما يستعمل في المدح تارة وفي الذم تارة أخرى، ومنها ما يحتمل المدح والذم معًا، وهذا النوع هو موضع الحديث في هذا البحث، والله أسأل التوفيق والسداد.

* * *

(١) الألفية: ٤٣.

المبحث الأول

ما يستعمل في المدح دون الذم

١- هذا رجلٌ هَدُّكَ من رجلٍ

من أساليب المدح المسموعة عن العرب قولهم: (هذا رجلٌ هَدُّكَ من رجلٍ، وهذان رجلان هَدُّكَ من رجلين، وهؤلاءِ رجالٌ هَدُّكَ من رجالٍ).

وقد ذكر النحاة واللغويون أنه تدور حوله المعاني الآتية:

الأول: الشِّدَّةُ والجَلَدُ والغَلَبَةُ والكَسْرُ، فقد ذكر الزمخشريّ أنه يقال: هذا رجلٌ هدَّك من رجلٍ، إذا وُصِفَ بجَلَدٍ وشدةٍ، أي: غَلَبَكَ وكَسَرَكَ، وهذه امرأة هَدَّتْكَ من امرأةٍ. قال:

"وهذا رجلٌ هدَّك من رجلٍ، إذا وُصف بجلد وشدّة، أي: غلبك وكسرك، وهذه امرأة هدّتك من امرأةٍ. وعن أبي عمر الجرميّ: مررتُ برجلٍ هدِّك من رجلٍ، وبامرأةٍ هدِّك من امرأةٍ، بمعنى: هادّك وهادّتك، والأوّل هو الكثير. وقال يعقوب: لهدُّ الرجلِ هو، إذا أُثني عليه بالجلد والشدّة"[١].

الثاني: أنَّ معناه: أثقلك وَصْفُ محاسنه أو عَدُّ مناقبه، ذهب إلى ذلك الرضي وابن عقيل[٢]، قال ابن عقيل:

---

(١) ينظر: أساس البلاغة: (هدد).

(٢) ينظر: شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢١٤، ٢٩٤، والمساعد: ٣/ ٢٤٥.

"يقال: مررتُ برجلٍ هدِّك من رجلٍ، أي: أثقلَكَ وصفُ محاسنه، هذا أصله"(١)، وأثبته صاحب اللسان بصيغة التضعيف قائلاً: "وقيل: معناه: أثقلك وصف محاسنه"(٢).

الثالث: أنّ معناه: حسبك، جاء في اللسان: مررتُ برجل هَدِّكَ من رجلٍ، أي: حَسْبُكَ، وهو مدح(٣). وقال ابن عقيل:

"ويُفَسَّرُ- أيضًا- بـــحَسْبك من رجل، أي: يُحْسِبُكَ، يقال: أَحْسَبَنِي كتابي"(٤).

ومعناه: كفاني(٥)، فَهَدَّكَ من رجل، وهَدَّتْكَ من امرأة، بمعنى: كَفَاكَ وكَفَتْكَ(٦).

والجار والمجرور في ذلك يفيد أن المذكور هو المخصوص بالمدح من بين أقسام هذا الجنس، إذا صُنِّفُوا رجلًا رجلًا، ورجلين رجلين، ورجالًا رجالًا(٧).

---

(١) المساعد: ٣/ ٢٤٥.

(٢) اللسان: (هدد).

(٣) ينظر: اللسان: (هدد).

(٤) المساعد: ٣/ ٢٤٥.

(٥) ينظر: المخصص لابن سيده: ١٤/ ٦٢، ٦٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٢٣، وهمع الهوامع: ٣/ ١٩.

(٧) ينظر: شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٩٣.

وقد ورد هذا الأسلوب عن العرب في صورتين، وهما لغتان عن العرب:

اللغة الأولى: لزوم (هدّ) الإفراد والتذكير في جميع الأحوال، فيقال: (هذا رجلٌ هَدُّكَ من رجلٍ، وهذه امرأةٌ هدُّك من امرأةٍ، وهذان رجلان هَدُّكَ من رجلين، وهاتان امرأتان هدُّك من امرأتينِ، وهؤلاءِ رجالٌ هَدُّكَ من رجالٍ، وهؤلاءِ نساءٌ هدُّك من نساءٍ)، وقد ذكر سيبويه هذه اللغة، وذلك في تقريره أن النعت يجرى على المنعوت في إعرابه؛ لأنهما كالاسم الواحد، ويبدو من كلامه أنها لغة الجمهور من العرب، والتي جاء عليها أكثر الكلام، فيقول ممثلًا لما قَرَّرَه:

"ومنه: مررتُ برجلٍ حَسْبِكَ من رجلٍ، فهذا نعتٌ للرجل بإحسابه إيَّاك من كلِّ رجلٍ، كذلك: كافيكَ من رجلٍ، وهَمِّكَ من رجلٍ، وناهيك من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ ما شئتَ من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ شَرْعِكَ من رجلٍ، ومررت برجلٍ هَدِّكَ من رجلٍ، وبامرأة هَدِّكَ من امرأة . فهذا كُلُّهُ على معنى واحد، وما كان منه يَجْرى فيه الإعرابُ فصار نعتًا لأَوَّله جرى على أَوَّله"(١).

فلا يُؤنث (هَدُّكَ)، ولا يثنى، ولا يجمع على هذه اللغة، بل يكون نعتًا لما قبله بلفظ واحد، سواء أكان المنعوت مؤنثًا أم مثنًى أم مجموعًا؛ وذلك لأنهم أجروه مُجْرى المصدر عند النعت به، وقد قال العلامة ابن مالك:

---

(١) الكتاب: ١/ ٤٢٢.

وَنَعَتُوا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا ☆☆ فَالْتَزَمُوا الإِفْرَادَ

وأجروه على المنعوت في الإعراب فقط، فقالوا: هذا رجلٌ هَدُّكَ من رجلٍ، وهذان رجلانِ هَدُّكَ من رجلينِ، وهؤلاءِ رجالٌ هَدُّك من رجالٍ، ورأيتُ رجلاً هَدَّكَ من رجلٍ، ورجلين هَدَّكَ من رجلينِ، ورجالاً هَدَّكَ من رجالٍ، ومررت برجلٍ هَدِّك من رجلٍ، وبرجلينِ هَدِّكَ من رجلينِ، وبرجالٍ هَدِّكَ من رجالٍ .

وقالوا: هذه امرأةٌ هَدُّكَ من امرأةٍ، وهاتانِ امرأتانِ هَدُّكَ من امرأتينِ، وهؤلاءِ نسوةٌ هَدُّكَ من نسوةٍ، ورأيتُ امرأةً هَدَّكَ من امرأةٍ، وامرأتينِ هَدَّكَ من امرأتينِ، ونسوةً هَدَّكَ من نسوةٍ، ومررتُ بامرأةٍ هَدِّكَ من امرأةٍ، وبامرأتينِ هَدِّكَ من امرأتينِ، وبنسوةٍ هَدِّكَ من نسوةٍ.

ولذا يقول الرضي:

"ويجوز أن يقال في حَسْبِكَ وهَدِّكَ ونَهْيِكَ وكَفْيِكَ وشَرْعِكَ: إنها لم تتصرف؛ لكونها في الأصل مصادر"(٢).

وهذه الألفاظ كلها نكرات؛ لأن معناها: يكفي(٣).

واللغة الثانية: أن يكون لفظ (هدَّ) بلفظ الفعل الماضي، ويتصرف في فاعله تذكيرًا وتأنيثًا، وتثنيةً وجمعًا، وهي لغة بعض العرب، حكاها عنهم سيبويه قائلًا:

---

(١) الألفية: ٣٧.

(٢) شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢١٤.

(٣) ينظر: المقتضب ٤/٢٨٨.

"وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: مررتُ برجلٍ هَدَّكَ من رجلٍ، ومررتُ بامرأةٍ هَدَّتْكَ من امرأةٍ، فجعله فعلًا مفتوحًا، كأنه قال: فَعَلَ وفَعَلَتْ، بمنزلة: كَفَاكَ وكَفَتْكَ"(١).

وأجاز المبرد السير على هذا في مجال القول دون نَصٍّ على كونه لغة(٢)، وأشار ابن يعيش والرضي إلى مجيئه على قلة، قال ابن يعيش:

"وربما جاء من ذلك شيء بلفظ الفعل الماضي، قالوا: (مررتُ برجلٍ هدَّك من رجلٍ)، ... فعلى هذا تقول: مررتُ برجلينِ هَدَّاكَ من رجلينِ، وبرجالٍ هَدُّوكَ من رجالٍ، وبامرأةٍ هَدَّتْكَ من امرأةٍ، وبامرأتينِ هَدَّتَاكَ من امرأتين، وبنسوةٍ هَدَدْنَكَ من نساءٍ" (٣).

ويقول الرضي: "وربما جاء فعلًا متصرفًا"(٤).

ويبدو أن الرضي يريد بالتصرف أن (هَدَّكَ) يُؤنث فاعله مع المؤنث، ويُثنى مع المثنى بنوعيه، ويُجمع مع الجمع بنوعيه، ولا يقصد التصرف بمعناه المعروف؛ لأن (هَدَّ) لم يرد عن العرب إلا في صورة الماضي، قال ابن عقيل عنه في هذه اللغة: "وهو فعل لا يتصرف"(٥) .

---

(١) الكتاب: ٤٢٣/١.

(٢) ينظر: المقتضب: ٢٨٩/٤.

(٣) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٨.

(٤) شرح الكافية للرضي: ٢١٤/٢.

(٥) المساعد ٢٤٥/٣، ٢٤٦.

وأما قول المغاربة: إن العرب لم تستعمل منه فعلًا، فقد رَدَّه ابن عقيل قائلاً:

" ليس بصواب، فقد نقل فعليته سيبويه وغيره " [١]، كابن سيده والزمخشريّ والرضيّ وابن منظور[٢] وكذلك فعل الفيروزابادي [٣]، ورَدَّدَهُ أعلام المجمع

اللغوى بالقاهرة [٤] .

ونَعَتَ سيبويه الناطقين به بكونهم موثوقًا بهم، فقد سمع منهم، وحكَى عنهم: (وهو عالم هَدَّكَ من عالم)، ولا ريب أن من سمع وحكَى حجة على من لم يسمع .

ومما جاء على هذه اللغة قول القتال الكلابي:

وَلِي صَاحِبٌ فِي الْغَارِ هَدَّكَ صَاحِبًا [٥]

---

(١) المساعد: ٢٤٦/٣.

(٢) ينظر: المخصص: ٦٣/١٤، وأساس البلاغة: (هدد)، وشرح الكافية للرضي: ٢١٤/٢، واللسان:(هدد).

(٣) ينظر: القاموس المحيط: (الهَدُّ).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط: (هدد).

(٥) هذا صدر بيت من الطويل، وعجزه: (أَبو الجَوْن إِلَّا أَنه لَا يُعَلَّل)، ويروى: (أخو الجون)، وأبو الجون: كنية النمر. ينظر: الديوان: ٧٧، وتهذيب اللغة، ومجمل اللغة، ومقاييس اللغة: (هدد)، والمخصص: ٤/ ١١٤، وأساس البلاغة: (هدد)، وشرح المفصل لابن يعيش: ٢/ ٢٤٣، واللسان: (جون)، وتاج العروس: (هدد).

ونَصَّ الزمخشريُّ على أَنَّ مجيئه فعلاً أكثر من مجيئه مصدرًا [١]. وقد نَصَّ ابن منظور وابن عقيل على كونهما لغتين دونما إشارة تدل على تمييز إحداهما عن الأخرى أو اختيارها [٢].

جاء في اللسان:

"وَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ هَدَّكَ مِنْ رَجُلٍ، أَي: حَسْبُك، وَهُوَ مَدْحٌ؛ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَثْقَلَكَ وصْف محاسنِه، وَفِيهِ لُغَتَانِ: مِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيه مُجْرى الْمَصْدَرِ، فَلَا يُؤَنِّثُهُ، ولَا يُثَنِّيهِ، ولَا يَجْمَعُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ فِعْلًا، فَيُثَنِّي، وَيَجْمَعُ، فَيُقَالُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ هَدّكَ مِنْ رَجُلٍ، وبامرأَة هَدَّتْكَ مِن امرأَة، كَقَوْلِكَ: كفَاكَ، وكفَتْك؛ وَبِرَجُلَيْنِ هَدَّاكَ، وَبِرِجَالٍ هَدُّوك، وبامرأَتين هَدَّتاك، وبِنسوةٍ هَدْدَنْك ".

وهذا يدفع إلى القول بأنهما لغتان فصيحتان؛ جريًا على ما ذكره بعض أئمة اللغة والنحو، وتصديقًا للسماع؛ فهو أولى بالاتباع من الأقوال المرسلة .

* * *

(١) ينظر: أساس البلاغة: (هدد).

(٢) ينظر: اللسان: (هدد)، والمساعد: ٣/٢٤٥، ٢٤٦.

٢- هذا رَجُلٌ حَسْبُكَ مِنْ رَجُلٍ

من أساليب المدح المسموعة عن العرب قولهم: (هذا رجلٌ حسبُك من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ حسبِك من رجلٍ)، فـ(حسبُك) مصدر مضاف، جاء صفة يراد بها مدح الموصوف بها، وهو يستعمل في مدح النكرة، إذا كان موصوفُه نكرةً.

وكما يجيء (حسبُك)- في المدح- صفة للنكرة يأتي حالًا من المعرفة، فيقال: هذا محمدٌ حسبَك من رجلٍ. جاء في اللسان:

"وَتَقُولُ: هَذَا رَجُل حَسْبُكَ مِنْ رَجُل، وَهُوَ مَدْحٌ لِلنَّكِرَةِ؛ لأَن فِيهِ تأْوِيل فِعْل، كأَنه قَالَ: مُحْسِبٌ لَكَ، أَي: كافٍ لَكَ مِنْ غَيْرِهِ، يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ وَالتَّثْنِيَةُ؛ لأَنه مَصْدَرٌ. وَتَقُولُ فِي الْمَعْرِفَةِ: هَذَا عبدُ اللَّهِ حَسْبَك مِنْ رَجُلٍ، فَتَنْصِبُ (حَسْبَك) عَلَى الْحَالِ"(١).

وإنما وقع المصدر صفة للنكرة وحالًا من المعرفة مع كونه مضافًا إلى الضمير؛ لأنه أقيم مقام اسم الفاعل، فهو مؤول بالمشتق، فلا يتعرف بالإضافة، فكأنه قال: مُحسِبٌ لك، بمعنى: كافٍ لك، أو كافيك من غيره، ويستعمل هكذا مع المذكر والمؤنث، ومع المفرد والمثنى والجمع. قال ابن يعيش:

"فإن قيل: فهذه مصادر مضافة إلى معارف، وإضافة المصدر صحيحة تعرِّف، فما بالكم وصفتم بها النكرة، فقلتم: (مررتُ برجلٍ حسبِك من رجلٍ، وشرعِك من رجلٍ، وهدِّك)، وكذلك سائرها؟ قيل:

---

(١) اللسان: (حسب).

هذه- وإن كانت مصادر- فهي في معنى أسماء الفاعلين بمعنى الحال، وإضافة أسماء الفاعلين- إذا كانت للحال أو الاستقبال- لا تفيد التعريف، نحو: (هذا رجلٌ ضاربُك الآنَ أو غدًا)"[1].

* * *

٣- هذا رَجُلٌ [شرْعُكَ، أو كَفْيُكَ، أو هَمُّكَ، أو نَحْوُكَ] مِنْ رَجُلٍ

من أساليب المدح المسموعة عن العرب قولهم: (مررتُ برجلٍ شرعِك من رجلٍ، وبرجلٍ كفْيك من رجلٍ، وبرجلٍ همّك من رجلٍ، وبرجلٍ نحوِك من رجلٍ).

فهذه كلها على معنى واحد: فقولهم: (همّك من رجلٍ) بمعنى: حسبِك، وهو من الهمة واحدة الهمم، أي: هو ممن يهمك طلبه[2]. قال الرضي:

"وقولهم: هَمُّك من رجل، مصدر بمعنى المفعول، أي: مهمومك، أي: مقصودك، أو من هَمَّه، أي: أذابه، أي: يذيبك وصف محاسنه"[3].

---

(١) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٣٧، والقاموس المحيط: (همم)، وتاج العروس: (همم).

(٣) شرح الكافية: ٢/ ٢٩٤.

و(شرعك): بمعنى (حسبك)، من (شرعتُ في الأمرِ)، إذا خضتُ فيه، أي: هو من الأمر الذي تشرع فيه وتطلبه، قال الفارابي:

"ويُقال: هذا رجلٌ شَرْعُكَ من رَجلٍ، أَي: حسبُك، وهو مَدْحٌ للنَّكِرَةِ"(١).

و(نحوك): من (نحوتُ) بمعنى: قصدتُ، أي: هو ممن يقصد ويطلب.

فهذه مصادر مفردة جارية على ما قبلها جري الصفة، والأصل أنها مصادر لا تثنى، ولا تجمع، ولا تؤنث، وإن جرت على مثنى، أو مجموع، أو مؤنث، تقول: (هذا رجلٌ همٌّك من رجلٍ، وهذانِ رجلانِ همٌّك من رجلينِ، وهؤلاء رجالٌ همٌّك من رجالٍ، وهذه امرأةٌ همٌّك من امرأةٍ، وهاتانِ امرأتانِ همٌّك من امرأتينِ، وهؤلاء نساءٌ همٌّك من نساءٍ)، فيكون موحّدًا على كل حال، كما تقول: (هذا رجلٌ عدلٌ، وهذانِ رجلانِ عدلٌ، وهؤلاء رجالٌ عدلٌ)؛ لأن المصدر موحَّد لا يُثَنّى، ولا يُجمَع؛ لأنه جنس يدل بلفظه على القليل والكثير، فاستغني عن تثنيته وجمعه، وعلى ذلك فلا تتبع موصوفها إلا في الإعراب فقط.

وقد تستعمل بلفظ الماضي، فيتصرف في فاعلها بالتثنية والجمع والتأنيث، تقول: (مررتُ برجلٍ كَفَاك من رجلٍ، وبرجلينِ كَفَيَاك من رجلينِ، وبرجالٍ كَفَوْك من رجالٍ، وبامرأةٍ كَفَتْك من امرأةٍ، وبامرأتينِ كَفَتَاك من امرأتينِ، وبنسوةٍ كَفَيْنَك من نسوةٍ). وقد أشار ابن يعيش إلى هذين الاستعمالين، فقال:

(١) ديوان الأدب: ١/ ١٧، وينظر: الصحاح: (شرع).

"فما كان منها مصدرًا معربًا، يتبع الموصوف في إعرابه: إن كان الموصوف مرفوعًا، فالمصدر الذي هو نعته مرفوع، وإن كان منصوبًا، فهو منصوب، وإن كان مجرورًا، فهو مجرور، وإن كان فعلًا، فهو بلفظ الفعل الماضي، لا يدخله شيءٌ من الإعراب"(١).

* * *

٤- هذا رَجُلٌ كافيكَ مِنْ رَجُلٍ، وناهِيكَ مِنْ رَجُلٍ

من الأساليب المستعملة في المدح عند العرب قولهم: (مررتُ برجلٍ كافيكَ من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ ناهيكَ من رجلٍ)، فيستعملون (كافيك) بمعنى: كفاكَ به رجلًا(٢)، وصفًا للنكرة، وحالًا من المعرفة، وكذلك (ناهيك) بمعنى: حَسْب، وتأْويله: أَنه بجِدِّه وغَنائه يَنْهاكَ عَنْ تَطَلُّب غَيْرِهِ ويكفيكَ(٣).

ويستعملان على وجهين:

الوجه الأول: **أن يستعملا في صورة اسم الفاعل مضافًا إلى الضمير، ويجوز فيهما حينئذ وجهان**:

---

(١) شرح المفصل: ٢/ ٢٤٠.

(٢) ينظر: (كفي) في تهذيب اللغة، وتاج العروس.

(٣) ينظر: (نهي) في الصحاح، واللسان، وتاج العروس.

أحدهما: أن يلزما صورة واحدة، ولا يتصرف فيهما بالتأنيث والتثنية والجمع، فيجريان على موصوفهما في الإعراب فقط، كما هو الحال في المصدر الواقع صفة، فيقال:

هذا رجلٌ كافيك من رجلٍ، وهذانِ رجلانِ كافيك من رجلينِ، وهؤلاءِ رجالٌ كافيك من رجالٍ، وهذه امرأةٌ كافيك من امرأةٍ، وهاتان امرأتان كافيك من امرأتين، وهؤلاء نساءٌ كافيك من نساءٍ.

وهذا رجلٌ ناهيكَ من رجلٍ، وهذانِ رجلانِ ناهيكَ من رجلينِ، وهؤلاءِ رجالٌ ناهيكَ من رجالٍ، وهذه امرأةٌ ناهيكَ من امرأةٍ، وهاتان امرأتان ناهيك من امرأتين، وهؤلاء نساءٌ ناهيكَ من نساءٍ.

والوجه الآخر: أن يجريا على موصوفهما في التأنيث والتثنية والجمع، كغيرهما من المشتقات الواقعة صفة، فيقال:

هذا رجلٌ كافيك من رجلٍ، وهذانِ رجلانِ كافياكَ من رجلينِ، وهؤلاءِ رجالٌ كافوكَ من رجالٍ، وهذه امرأةٌ كافيتُك من امرأةٍ، وهاتان امرأتانِ كافيتاكَ من امرأتينِ، وهؤلاء نساءٌ كافياتُك من نساءٍ.

وهذا رجلٌ ناهيكَ من رجلٍ، وهذانِ رجلانِ ناهياك، وهؤلاءِ رجالُ ناهوكَ من رجالٍ، وهذه امرأةٌ ناهيتك من امرأة، وهاتانِ امرأتانِ ناهيتاكَ من امرأتينِ، وهؤلاءِ نساءٌ ناهياتُكِ من نساءٍ.

وقد أشار الرضي إلى هذين الوجهين بقوله:

"ولم يتصرف في هذه إلا في الإعراب، فلم تثن، ولم تجمع؛ لمشابهة (قَدْكَ، وقَطْكَ) غير المتصرفين، وعلى هذا قالوا: مررتُ برجلٍ كافيك من رجلٍ، وبرجلينِ كافيك من رجلينِ، وبامرأةٍ كافيك من امرأةٍ؛

إجراءً له في عدم التصرف مجرى (قَدْكَ، وقَطْكَ)، وقد استعمل (ناهيك) على أصله من التصرف، فقيل: برجلينِ ناهييك من رجلينِ، وبامرأةٍ ناهيتِك من امرأةٍ، وكذا سائر تصرفاته"(١).

الوجه الثاني: أن يستعملا بصيغة المصدر، بمعنى (حَسْب)، فيقال: (هذا رجلٌ كفْيُك(٢) من رجلٍ، وهذا رجلٌ نهْيُكَ من رجلٍ)، فيلزما الإفراد والتذكير كغيرهما من المصادر الموصوف بها، ولا يتصرف فيهما بالتأنيث والتثنية والجمع(٣).

قال الزبيدي:

"وإذا قلت: (نهيُك من رجلٍ)، كما تقول: (حسبُك من رجلٍ)، لم تثن ولم تجمع؛ لأنه مصدر"(٤).

وحكَى ابْن الْأَعرَابِي: كَفاك بفلان، و(كِفَاك) بالكسر، و(كُفاك) بالضم مَقْصُورين، من غير تثنية ولا جمع ولا تأنيث(٥).

وقد أشار سيبويه إلى جميع ما سبق من المصادر واسم الفاعل في حديثه عن إجراء النعت على منعوته، فقال:

---

(١) شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢١٣.

(٢) بتثليث الفاء، ينظر: (كفي) في الصحاح، واللسان، وتاج العروس.

(٣) ينظر: الصحاح: (كفي).

(٤) تاج العروس: (نهي).

(٥) ينظر: المحكم لابن سيده: (كفي)، (نهي) في الصحاح، واللسان، وتاج العروس.

"ومنه: مررتُ برجُلٍ حَسْبِك من رجُلٍ، فهذا نعت للرجل بإحسابهِ إيّاك من كلّ رجلٍ. وكذلك: كافيك من رجلٍ، وهَمّك من رجلٍ، وناهيك من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ ما شئتَ من رجلٍ، ومررتُ برجلٍ شَرْعِك من رجلٍ، ... فهذا كلُّه على معنىً واحدٍ، وما كان منه يَجرى فيه الإعرابُ فصار نعتاً لأوّله جرى على أوّله"(١).

* * *

٥- مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَا شِئْتَ مِنْ رَجُلٍ

مما يستعمل في المدح قولهم في الوصف: (مررتُ برجلٍ ما شئتَ من رجلٍ).

وتحتمل (ما) أحد ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون (ما) نكرة موصوفة بمعنى (شيء) في موضع الصفة لما قبلها، والجملة بعدها صفة لها، وقد أتى الوصف على خلاف الأصل من، فجاءت (ما) التي هي في الأصل مبهمة لغير العاقل صفة جارية على نكرة للعاقل؛ وذلك قصدًا للإبهام الملائم للتفخيم والمدح.

والثاني: أن تكون (ما) اسمًا موصولًا بمعنى (الذي)، وهي خبر لمبتدأ محذوف؛ لأنها معرفة لا يصح جعلها صفة للنكرة قبلها، والجملة بعدها صلة لها، والجملة من المبتدأ المحذوف والخبر صفة للنكرة قبلها، فيكون تقدير الكلام: مررتُ برجلٍ هو الذي شئته.

---

(١) الكتاب: ١/ ٤٢٢.

والثالث: أن تكون (ما) نكرة موصوفة بمعنى (شيء)، والجملة بعدها صفة لها، وهي خبر لمبتدأ محذوف، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره صفة للنكرة قبلها، والتقدير: مررتُ برجلٍ هو شيءٌ شئته.

وقد أشار الرضي إلى هذه الأوجه الثلاثة بقوله:

"ومنه قولك: ما شئت من كذا مقصورًا على نكرة، نحو قولك: جاءني رجلٌ ما

شئتَ من رجلٍ، و(ما) إما نكرة موصوفة بالجملة بعدها، أو موصولة، وهي خبر مبتدأ محذوف على الحالين، والجملة صفة للنكرة، أي: هو الذي شئته، أو هو شيءٌ شئته. ويجوز أن تكون موصوفة بالجملة بعدها، وهي صفة للنكرة قبلها، وإنما استعمل (ما) دون (من)، لأن (ما) للمبهم أمره وإن كان من أولي العلم، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾[2]، وما نحن فيه موضع الإبهام ... والجار والمجرور في جميع ذلك يفيد أن المذكور هو المخصوص بالمدح من بين أقسام هذا الجنس، إذا صنفوا رجلًا رجلًا، ورجلين رجلين، ورجالًا رجالًا"[3].

* * *

(١) سورة الشعراء، من الآية/ ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، من الآية/ ٣٥.

(٣) شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤.

٦- الوصف بـ(أيّ)

مما يستعمل في المدح عند العرب الوصف بـــ(أيّ)، بشرط أن تكون مضافة إلى اسم نكرة، فيوصف بها النكرة، وتأتي حالًا من المعرفة، وتعرف (أيٌّ) هذه عند النحاة بـــ(أيّ) الكمالية، نحو: (شاهدتُ رجلًا أيَّ رجلٍ، ومررتُ بشجاعٍ أيِّ شجاعٍ، وحضرَ زيدٌ أيَّ رجلٍ)، قال سيبويه:

"ومن النعت أيضًا: مررتُ برجلٍ أيِّما رجلٍ، فـــ(أيُّما) نعتٌ للرجل في كماله وبَذِّه غيرَه، كأنه قال: مررتُ برجلٍ كاملٍ"(١).

وتستعمل (أيّ) الواقعة صفة في الكلام من ناحية المعنى على وجهين:

الأول: أن تكون مضافة إلى اسم نكرة مشتق، فيكون معناها المدح بالكمال في الوصف المضافة إليه خاصة دون غيره من الصفات، نحو: مررتُ بشاعرٍ أيِّ شاعرٍ.

والثاني: أن تضاف إلى نكرة غير مشتقة، فيكون معناها المدح بالكمال في كل ما يحتمله معنى الاسم المضافة إليه من صفات الكمال التي يمدح بها، ومن ذلك قول الشاعر:

دَعَوْتُ امْرَءًا أيَّ امْرِىءٍ فَأَجَابَنِي ☆☆ وَكُنْتُ وَإِيَّاهُ مَلاذًا وَمَوْئِلا (٢)

---

(١) الكتاب: ١/ ٤٢٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في: شرح التسهيل: ١/ ٢٢١، والتذييل والتكميل: ٣/ ١٤٠، وتمهيد القواعد: ٢/ ٧٥١، والملاذ والموئل: الملجأ.

وقد ذكر السيوطي هذين الوجهين، فقال:

"فَإِن أضيف إِلى مُشْتَقّ من صفة يُمكن المدح بها، كانت للمدح بالوصف الذي اشتق منهُ الِاسم الذي أضيف إِليه، فإِذا قلت: بفارسٍ أَيِّ فارسٍ، فقد أثنيت عليه بالفروسية خاصَّة، أَو إِلى غير مُشْتَقّ فهي للثناء عليه بكُل صفة يُمكن أَن يثنى بها، فإِذا قلت: سررتُ بِرجُلٍ أَيِّ رجلٍ، فقد أثنيت عليه ثَناءً كافيًا بما في كل ما يمدح بهِ الرجل"(١).

وجاز الوصف بـــ(أيٍّ) مع أنها اسم جامد غير مشتق، فقالوا: مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، وأيّما رجلٍ، وبرجلين أيِّ رجلينِ وأيّما رجلين، وبرجالٍ أيِّ رجالٍ وأيّما رجالٍ؛ لأنها في معنى المشتق، قال أبو حيان:

"و(أيٌّ) وإن لم تكن مشتقة فهي في حكم المشتق. قال أصحابنا: وإنما أُعطيت معنى الاشتقاق؛ لأنها في الأصل استفهام، فإذا قلت: مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، فكأنك قلت: مررت برجلٍ لنباهته وكماله يُتطلع إلى السؤال عنه والعجب من أحواله، فيقال: أيٌّ الرجال هو؟ هذا أصله، ولذلك أعطيت (أيٌّ) معنى الكمال، وأزيل عنها الاستفهام؛ ليعمل فيها ما قبلها، وبقي فيها إبهام الاستفهام؛ ليفيد معنى المبالغة في الصفة"(٢).

وأما من ناحية الإعراب فتستعمل على ثلاثة أوجه:

الأول: أن تأتي صفة تابعة لما قبلها في الإعراب، نحو: محمدٌ رجلٌ أيٌّ رجلٍ، وشاهدتُ رجلًا أيَّ رجلٍ، ومررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، واشترط النحاة

(١) الهمع: ١/ ٣٥٥.

(٢) التذييل والتكميل: ٣/ ١٤١.

في الوصف بها أن يكون موصوفها نكرة، وأن تكون مضافة إلى نكرة؛ لتكون مطابقة للموصوف بها في المعنى، قال أبو حيان:

"وإنما كانت صفةً للنكرة، ولم تُوصف بها المعرفة؛ لأنها لو أُضيفت إلى معرفة كانت بعضًا مما تُضاف إليه، وذلك لا يُتصور في الصفة؛ إذ الصفة أبدًا إنما هي الموصوف لا بعضه"(١).

والثاني: أن تأتي حالًا منصوبًا من اسم معرفة، نحو: مررتُ بمحمدٍ أيَّ رجلٍ، وشاهدتُ الحاكمَ أيَّ حاكمٍ.

والثالث: أن تأتي نعتًا مقطوعًا عما قبله في الإعراب(٢)، فترفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أو تنصب على المفعولية لفعل محذوف، ومن ذلك قول الراعي النميري:

فَأَوْمَأتُ إِيمَاءً خَفِيا لِحَبْتَرٍ ☆☆ وَلِلهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أيَّمَا فَتَى(٣).

---

(١) التذييل والتكميل: ٣/ ١٤١ .

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ١٨٠، وحروف المعاني للزجاجي: ٦١، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٢٨٦.

(٣) البيت من الطويل، ينظر: الديوان: ٣، والكتاب: ٢/ ١٨٠، وحروف المعاني والصفات: ٦٢، وشرح التسهيل: ١/ ٢٢١، ٣/ ٣١٥، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٢٨٧، وشرح الكافية للرضي: ٤/ ٢٣٤، والتذييل والتكميل: ٣/ ١٤١، ١٤٢، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٦٥، وتمهيد القواعد: ٢/ ٧٥١، ٧/ ٣٣٣٨، والهمع: ١/ ٣٥٦، وشرح الأشموني: ١/ ١٥٤، ١٥٨، والخزانة: ٩/ ٣٧١. الإيماء: الإشارة بالعين أو باليد، وحبتر: اسم غلام الشاعر.

وتفارق (أيٌّ) في الوصف بها غيرها من الصفات في أن الموصوف بها لا يجوز حذفه وإقامتها مقامه إلا نادرًا؛ لأن حذف موصوفها ينافي الغرض من الوصف بها، وهو المدح والتعظيم، قال السيوطي:

"وَهَذَا فِي غَايَة الندور؛ لِأَن الْمَقْصُود بِالْوَصْفِ بِـ(أَيٍّ) التَّعْظِيم، والحذف منَافٍ لذَلِك"(١).

ومما ورد بالحذف قول الفرزدق:

إِذَا حَارَبَ الْحَجَّاجُ أيَّ مُنَافِقٍ ☆☆ عَنَاهُ بِسَيْفٍ كُلَّمَا هَزَّ يَقْطَعُ(٢)

أراد: منافقًا أيَّ منافق.

* * *

٧- للّه أبوك

مما يستعمل في المدح عند العرب قولهم: (لله أبوك) في معرض التعجب والمدح، ومعناه: أبوك لله خالصًا؛ حيث أنجب بك وأتى بمثلك. يقول ابن الأثير:

"وَفِي الْحَدِيثِ: (لِلَّهِ أَبُوكَ)(١)، إِذَا أُضِيفَ الشيء إلى عظيم شريف اكتسى عظمًا وَشَرَفًا، كَمَا قِيلَ: بيتُ اللَّهِ، وناقةُ اللَّهِ، فَإِذَا وُجِد مِنَ الْوَلَدِ

(١) الهمع: ١/ ٣٥٦.

(٢) البيت من الطويل، ينظر: الديوان: ٢/ ٧٠، وشرح التسهيل: ١/ ٢٢١، ٣/ ٣٢٤، والتذييل والتكميل: ٣/ ١٤١، وارتشاف الضرب: ٢/ ١٠٣٦، ٤/ ١٩٣٧، وتمهيد القواعد: ٢/ ٧٥١، ٧/ ٣٣٧٢، والهمع: ١/ ٣٥٦.

مَا يَحسنُ مَوْقعُهُ ويُحْمَدُ، قِيلَ: لِلَّهِ أَبُوكَ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ والتعجب، أي: أبوك لله خالصًا، حيث أَنْجَبَ بِكَ وَأَتَى بِمِثْلِكَ"(٢).

وقد وردت هذه العبارة عن العرب على أوجه ثلاثة:

الوجه الأول: قالوا: (للهِ أبوكَ)، بدون حذف، فيكون (لله) خبرًا مقدمًا، و(أبوكَ) مبتدأ مؤخرًا.

الوجه الثاني: قالوا: (لاه أبوك)، يريدون: لله أبوك، فحذفوا لام الجر وأل، وهو

شاذ لا يقاس عليه، وهذا رأي سيبويه وأكثر النحاة(٣). جاء في تهذيب اللغة:

"وَيَقُولُونَ: لاهِ أَبوك، يُرِيدُونَ: لله أَبوك، وَهِي لَام التَّعَجُّب يُضْمِرون قَبلها: اعجَبُوا لِأَبِيهِ مَا أَكْمَلَه، فيَحذِفونَ لامَ التعجّب مَعَ لَام الِاسْم"(٤).

ومما ورد على هذه اللغة قول ذي الأصبع العدواني:

=

(١) الحديث في سنن ابن ماجه: باب ما أحرز العدو ثم ظهر عليه، رقم (٢٨٤٦)، ٤/ ١١١، وسنن أبي داوود: باب الرخصة في المدركين يفرق بينهم، رقم (٢٦٩٧)، ٤/ ٣٣٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: (أبو) ١/ ١٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢/ ١١٥، ٣/ ٤٩٨، وشرح المفصل لابن يعيش: ٥/ ٢٦١.

(٤) تهذيب اللغة: (أله).

لَاهِ ابْنُ عَمِّيَ مَا يَخَافُ الْحَادِثَاتِ مِنَ الْعَوَاقِبْ[1]

وقوله أيضًا:

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أُفْضِلْتَ فِي حَسَبٍ[2]

الوجه الثالث: قالوا: لَهْيَ أبوك، وأصل (لهي): لاه، فقدموا الهاء ساكنة على الألف، وأبدلوا من الألف ياء، وبنوها على الفتح. وهذا ما عليه أكثر النحاة، يقول سيبويه:

"وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين، من قولهم: لاه أبوك، حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى؛ ليخففِّوا الحرف على اللسان، وذلك ينوون.

(١) البيت من مجزوء الكامل، ينظر: (ألله) في: تهذيب اللغة، واللسان، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ١/ ٨٥، والحاثات: جمع حادثة، وهي ما يقع فجأة، والعواقب: جمع عاقبة، وهي آخر الشيء.

(٢) هذا صدر بيت من البسيط، وعجزه: (عنِّي ولا أَنْتَ دَيَّاني فَتَخْزُونِي)، ينظر: الخصائص: ٢/ ٢٩٠، والإنصاف: ١/ ٣٢٥، والبديع في علم العربية: ١/ ٢٦٦، وشرح المفصل: ٤/ ٥١٧، ٥/ ٢٦١، وشرح الكافية الشافية: ٢/ ٨٠٩، وشرح الكافية للرضي: ٣/ ٢٣١، ٤/ ٣٢٠، والتذييل والتكميل: ١١/ ٢٢٠، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٧٦٠، وأوضح المسالك: ٣/ ٤١، ومغني اللبيب: ١٩٨، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٢٣، وتمهيد القواعد: ٦/ ٢٩٦٥، والتصريح: ١/ ٦٥٣، والهمع: ٢/ ٤٤٣، وشرح الأشموني: ٢/ ٩٤، والخزانة: ٧/ ١٧٣، ١٠/ ١٢٤. والحسب: الشرف، وديَّاني: أي: مالك أمري، وتخزوني: بمعنى تسوسني وتقهرني.

وقال بعضهم: لَهْيَ أبوكَ، فقلب العين، وجعل اللام ساكنة؛ إذ صارت مكان العين كما كانت العين ساكنة، وتركوا آخر الاسم مفتوحًا كما تركوا آخر (أينَ) مفتوحًا، وإنَّما فعلوا ذلك به حيث غيَّروه؛ لكثرته في كلامهم، فغيَّروا إعرابه كما غيَّروه"(١).

ونُسِب إلى المبرد أن المحذوف لام التعريف واللام الأصلية، والباقية هي لام الجر، وإنما فتحت؛ لئلا ترجع الألف إلى الياء، مع أن أصل لام الجر الفتح(٢).

وبنيت على الفتح؛ لشبهها الحرف في المعنى، وهو تضمنها معنى حرف التعريف. يقول ابن يعيش:

"وقد قالوا: (لَهْيَ أبوكَ)، فقلبوا العين إلى موضع اللام، وبني على الفتح؛ لتضمنه لام التعريف، كما بنيت (آمينَ) كذلك"(٣).

ويرى ابن مالك أن سبب البناء هو تضمنها معنى حرف التعجب؛ لأنه لا يستعمل إلا في سياق التعجب، قال:

"والذي أراه أن (لَهْيَ) مبني؛ لتضمن معنى حرف التعجب وإن لم يكن للتعجب حرف موضوع، كما قال الجمهور في اسم الإشارة: إنه مبني؛ لتضمن معنى حرف الإشارة ...؛ إذ لا يقع (لَهْيَ) في غير تعجب، كما لا يقع اسم الإشارة في غير إشارة، وهو مع بنائه في

(١) الكتاب: ٣/ ٤٩٨.
(٢) ينظر: شرح المفصل: ٥/ ٢٦١.
(٣) شرح المفصل: ٤/ ٥١٨.

موضع جر باللام المحذوفة. واللام والمجرور بها في موضع رفع بمقتضى الخبرية، و(أبوك) مرفوع بالابتداء"[1].

* * *

٨- للّهِ دَرُّه

مما يستعمل في المدح عند العرب قولهم: (لِلَّه درُّه)، فيقال ذلك عند المَدْحِ والتعَجُّب من خصال الممدوح وفعاله، وأصل الدَّرُّ: ما ينزل من الضرع من اللبن، ومن السحاب من المطر، فأُريد به الخَيرُ مجازًا، فمعنى (لله درُّه): لله عملُه، وقيل: معناه: لله خيره وفعاله، وقيل: معناه: لله ما خرج منه من خير، ثم كثر في استعمالهم حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه[2].

ومن عادات العرب في كلامهم أنهم إذا عَظَّمُوا شَيئًا نَسَبُوه إلى الله تَعالى؛ قَصْدًا إلى أنَّ غَيره لا يَقْدِر.

والإِعْراب ظاهر، فـ(لله) متعلق بخبر مقدم، و(درُّه) مُبْتَدأ مُؤَخَّر.

ويُقال في الذم: (لا دَرَّ دَرُّه)، أي: لا كَثُر خَيرُه، ولا زكا عمله. يقول الرضي:

"وأما معنى قولهم: (لله درُّك)، فالدر في الأصل: ما يدر، أي: ما ينزل من الضرع من اللبن، ومن الغيم من المطر، وهو ههنا كناية عن

(١) شرح التسهيل: ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) ينظر: تاج العروس: (درر).

فعل الممدوح الصادر عنه، وإنما نسب فعله إليه تعالى؛ قصدًا للتعجب منه؛ لأن الله تعالى منشئ العجائب، فكل شيءٍ عظيمٍ يريدون التعجب منه ينسبونه إليه تعالى، ويضيفونه إليه تعالى، نحو قولهم: لله أنتَ، ولله أبوكَ، فمعنى (لله دره): ما أعجب فعله"(١).

ومما ورد في التعجب قول ابن أحمر:

بَانَ الشَّبَابُ وَأَفْنَى ضُعْفَهُ الْعُمُرُ ☆☆ لِلهِ دَرِّيَ أيُّ الْعَيْشِ أنْتَظِرُ(٢)

قال هذا يتعجب من حال نفسه.

* * *

٩- ذَاكَ أَحَدُ الأَحَدِينَ

مما يستعمل في المدح عند العرب قولهم: فلانٌ إحدى الإِحَدِ، وفُلانٌ أحدُ الأَحَدِينَ، ويستعمل ذلك عند الوصف بعدم النظير أو نفي المثل، قال ابن مالك:

"ويقال للموصوف بعدم النظير: هو أَحَدُ الأَحَدين، وإِحْدَى الإِحَدِ، أي: الدواهي المقول لكل واحدة منها: لا نظير لها"(٣).

---

(١) شرح الكافية: ٢/ ٧٠.

(٢) البيت من البسيط، ينظر: الفاخر للمفضل: ٥٥، والزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٣٩٠، واللسان: (درر)، و(عذر)، والخزانة: ٢/ ٢٠٨، وتاج العروس: (درر)، و(عذر)، و(ودك)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٣/ ٢٧٣. وبان: انقضى وذهب.

(٣) شرح التسهيل: ٢/ ٤٠٥.

ومما ورد من ذلك قول المرار الفقعسي:

حَتَّى اسْتَثَارُوا بِيَ إِحْدَى الإِحَدِ ☆☆ لَيْثاً هِزَبْرًا ذَا سِلاحٍ مُعْتَدِي[1]

وقول رجل من غطفان:

إِنَّكُمْ لَنْ تَنْتَهُوا عَنِ الْحَسَدْ ☆☆ حَتَّى يُدَلِّيكُمْ إِلَى إِحْدَى الْإِحَدْ[2]

وقد ورد هذا الأسلوب على عدة أوجه:

الأول: يقال: هذا أحدُ الأحدينَ، بإضافة (أحد) إلى جمع المذكر السالم.

الثاني: يقال: هذا إِحْدى الإِحَدِ، بإضافة (إحدى) إلى جمع تكسير المؤنث (فِعَل) بكسر الهمزة، تشبيهًا له بباب: (كِسْرَة وكِسَر). قال الرضي:

"وقد يقال في المدح ونفي المثل: هو أَحَدُ الأَحَدِينَ، وهو إِحْدى الإِحِد، جمعوا (إِحْدَى) على (إِحَد) تشبيها بـ(سِدْرة وسِدَر)، فمعنى (هو إِحْدَى الإِحَد): داهية هي إحدى الإِحَد"[3].

---

(١) البيت من الرجز، ينظر: شرح الكافية للرضي: ٣/ ٢٨٥، وشرح التسهيل: ٢/ ٤٠٥، والتذييل والتكميل: ٩/ ٣٣٢، وتمهيد القواعد: ٥/ ٢٤٣٦، والخزانة: ٧/ ٣٤٧، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٩/ ٤١٨. واستثاره: بمعنى حمله على فعله.

(٢) البيت من الرجز، ينظر: (وحد) في أساس البلاغة، وتاج العروس، والخزانة: ٧/ ٣٥٢، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٩/ ٣٥٩. ويدلِّيكم: يدفعكم ويقربكم.

(٣) شرح الكافية للرضي: ٣/ ٢٨٥.

الثالث: يقال: هذا إحْدَى الأُحَد، بإضافة (إحْدَى) إلى جمع تكسير المؤنث (فُعَل)

بضم الهمزة، تشبيهًا له بباب: دُنْيا ودُنًى، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾[1]. قال أبو حيان:

"وقالوا (الأُحَد) كما قالوا (الكُبَر), كما قالوا: ظُلْمَة وظُلَم"[2].

وليست الألف في (إحدى) للتأنيث حقيقة؛ لأنه يوصف بها المذكر عاقلًا أو غير عاقل، بل المراد بها المبالغة في الوصف؛ أو أن المراد بها في المعنى الداهية، قال البغدادي:

"وَمن قَالَ: (إِحْدَى الإحَد) رَاعى الْمَعْنى؛ فَلذَلِك أَتَى بِـ(إِحْدَى)؛ لِأَن ألفها إِمَّا للتأنيث أَو للإلحاق، وَلكنهَا تشبه فِي اللَّفْظ ألف التَّأْنِيث، فأضافها إِلَى جمع الْمُؤَنَّث، وَهُوَ (الإحَد) بِكَسْر الْألف وَفتح الْحَاء"[3].

الرابع: يقال: واحدُ الأحَدين، بإضافة (واحد) إلى جمع المذكر السالم من (أحد)؛ لأنهما يردان بمعنًى واحد في بعض الاستعمالات.

الخامس: يقال: واحدُ الآحادِ، بإضافة (واحد) إلى جمع التكسير للمذكر. جاء في القاموس المحيط:

---

(١) سورة المدثر، الآية/ ٣٥.

(٢) التذييل والتكميل: ٩/ ٣٣٣.

(٣) الخزانة: ٧/ ٣٤٧.

"ويقالُ لِلأَمْرِ المُتَفاقِم: إحدى الإِحَدِ، وفُلانٌ أحدُ الأَحَدِينَ، وواَحِدُ الأَحَدِينَ، وواحِدُ الآحادِ، وإحْدَى الإِحَدِ، أي: لا مِثْلَ له، وهو أبْلَغُ المَدْحِ. وأتى بإحْدى الإِحَدِ، أي: بالأَمْرِ المُنْكَرِ العظيمِ"(١).

السادس: يقال: أوحَدُ الأحَدِينَ، بإضافة (أوحد) إلى جمع المذكر السالم من (أحد)؛ لأنهما يستعملان بمعنى واحد في بعض الاستعمالات(٢).

السابع: حكَى بعض أهل اللغة: إضافة (إحدى) إلى الضمير، جاء في لسان العرب:

"وَلَا يَقُومُ بِهَذَا الأَمرِ إلا ابن إحداها، أَي: كَرِيمُ الآباءِ والأُمهاتِ مِنَ الرِّجَالِ والإبل. وَقَالَ أَبو زَيْدٍ: لَا يَقُومُ بِهَذَا الأَمرِ إلا ابْنُ إحداها، أَي: الْكَرِيمُ مِنَ الرِّجَالِ. وَفِي النَّوَادِرِ: لَا يَسْتَطِيعُهَا إلا ابْنُ إِحْداتها، يَعْنِي: إلا ابْنُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا"(٣).

الثامن: حكَى بعضهم إضافة (أحد) إلى الوصف المشتق المعرف بـــ(أل)، يقول الزبيدي:

"قال الدّماميني في شرح التسهيل: الّذي ثبتَ استعمالُه في المدْح (أَحَد، وإِحْدَى) مضافَين إلى جمْعٍ من لَفظهما، كـــ(إِحَد، وأَحَدِين)، أَو إِلى وَصْف، كـــ(أَحَدِ العلماءِ)(٤)"(٥).

* * *

(١) القاموس المحيط: (أحد).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: باب الحاء والدال.

(٣) اللسان: (وحد).

(٤) ينظر: تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد (مخطوط): ١/ ٢٥٨.

(٥) تاج العروس: (أحد).

١٠- فلانٌ نسيجُ وحدِهِ

الأكثر في كلام العرب استعمال (وَحْدَه) مَصْدَرًا لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ ولا يؤنث، وَلَا يُغَيّر عَنْ الْمَصْدَرِ، فإن قصدت التثنية أو الجمع أو التأنيث من السياق، فتكون للمضاف إليه (الضمير)، فيقال: جاء زيدٌ وحدَه، وجاءا وحدَهما، وجاءوا وحدَهم، وَهُوَ بِمعنى (إِفْرادًا)، وأَصله: أَوْحَدْتُه إِيحادًا، ثُمَّ حُذِفت زِيَادَاتُهُ، فجاءَ اسمَ مصدرٍ منصوبًا، ولا يجر في أكثر استعمالاته، ولا يرفع مطلقًا، ونصبه إما على المصدرية، وإما على الحالية، وإما على الظرفية(١).

قَالَ أَبُو بكر بن الْأَنْبَارِي:

"(وحْدَهُ) مَنْصُوب فِي جَمِيع كَلَام الْعَرَب إِلَّا فِي ثلاثةِ مَوَاضِع: يُقَال: لَا إله إلاّ الله وحدَه، ومررت بزيد وحْدَه، وبالقوم وحْدَهم. قَالَ: وَفِي نصب (وحْدَه) ثَلَاثَة أَقْوَال: قَالَ جماعةٌ من الْبَصرِيين هُوَ مَنْصُوبٌ على الْحَال. وَقَالَ يونُس: (وحدَهُ) هُوَ بِمَنْزِلَة (عِنْدَهُ). وَقَالَ هِشَام: (وحدَهُ) هُوَ مَنْصُوب على المصْدَر"(٢).

وقد وردت (وحده) مجرورة بالإضافة في خمسة مواضع شذوذًا، ثلاثة منها للمدح، وهي في قولهم: (فلانٌ نسيجُ وحدِهِ)، والمعنى: أنه

---

(١) ينظر: البديع في علم العربية: ١/ ١٨٨، و(وحد) في تهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢٣١، وينظر: (وحد) في تهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس.

ليس هناك من يماثله ويناظره، و(فلانٌ قريعُ وحدِه)، والمعنى: وَهُوَ الَّذِي لَا يُقَارِعُهُ فِي الْفَضْلِ أَحد[1]، و(فلانٌ رُجَيْلُ وحدِهِ)، يقال ذلك للمعجب بنفسه[2]. واثنان للذم، وهما في قولهم: (جُحَيْشُ وحدِهِ)، و(عُيَيْرُ وحدِهِ)، في ذم المستبد برأيه، والمستأثر بكسبه، والمعنى: هو الذي لا يشاور أحدًا ولا يخالط الناس، وفيه مع ذلك مهانة وضعف، فلا يخدم إلا نفسه وحدها[3].

يقول المبرد:

"فَأَما قَوْلهم: هَذَا نَسِيجُ وَحدِه، فَلَا معنى لَهُ إِلَّا الْإِضَافَة؛ لِأَنَّهُ يخبر أَنه لَيْسَ فِي مِثَاله أحد، فَلَو لم يضف إِلَيْهِ، لقَالَ: هَذَا نَسِيجٌ إفرادًا، فالإضافة فِي الْحَقِيقَة إِلَى الْمصدر، وَكَذَلِكَ: عُيَيْرُ وَحدِه، وجُحَيْشُ وَحدِه، وَلَو قَالَ: جُحَيْشُ نَفسِه، وعُيَيْرُ نَفسِه وَحدَها، لصلح؛ لِأَنَّهُ الرجل الذي يخْدم نَفسه وَحدَها، فَهَذَا بَيّن جدًّا"[4].

ومما ورد من ذلك: قَوْلُ عَائِشَةَ فِي وصف عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما: "كَانَ واللهِ أَحْوَذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِه"[5].

---

(١) ينظر: (وحد) في العين، واللسان، وتاج العروس.

(٢) ينظر: (وحد) في اللسان.

(٣) ينظر: (جحش) في الصحاح، وأساس البلاغة، واللسان، وتاج العروس.

(٤) المقتضب: ٣/ ٢٤٢.

(٥) ورد هذا الأثر في: المعجم الأوسط للطبراني: باب من اسمه عبد الله، رقم (٤٣١٨)، ٤/ ٣١٩، والسنن الكبرى للبيهقي: بَابُ مَا يَحْرُمُ بِهِ الدَّمُ مِنَ الْإِسْلَامِ زِنْدِيقًا كَانَ أَوْ غَيْره، رقم (١٦٨٤٨)، ٨/ ٣٤٩.

تَعْنِي: أنه منقطع النظير، لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ فِي رأْيه وَجَمِيعِ أُموره.

وَقَول الشاعر:

جاءَتْ بِهِ مُعْتَجِرًا بِبُرْدِهِ ☆☆ سَفْوَاءُ تَرْدِي بِنَسِيجِ وَحْدِهِ[1]

ويستعمل (نسيج) وأخواته على وجهين:

الأول: أن يتصرف في لفظ (نسيج) وأخواته تذكيرًا وتأنيثًا، وتثنيةً وجمعًا، فتلحقه علامة التأنيث والتثنية والجمع، فَيُقَال: هو نسيجُ وحدِه، هما نسيجا وَحدِهمَا، وهم نسجاءُ وحدِهم، وهِيَ نسيجةُ وَحدِهَا، وهما نسيجتا وحدِهما، وهنَّ نسائجُ أو نسيجاتُ وحدِهنَّ، ذكر ذلك الخليل بن أحمد[2].

والثاني: أن تلزم الإفراد والتذكير في جميع الأحوال، ويدل على التأنيث والتثنية والجمع بالتصرف في الضمير المضاف إلى (وحد)، فيقال: هو نسيجُ وحدِه، وهي نسيجُ وحدِها، وهما نَسِيجُ وَحدِهمَا، وهم

(١) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة، ينظر: الجمل للخليل: ١٤٠، والأفعال للمعافري: ٣/ ٥٣١، و(عجر) في العين، وتهذيب اللغة، والصحاح، ومقاييس اللغة، واللسان. معتجِرًا: من اعتجر الرجل بعمامته، إذا لواها على رأسه، والسفواء: السريعة الخفيفة، تردِي: تسير بسرعة، والرديان: نوع من السير بين العدو والمشي الشديد. والمعنى: جاءت البغلة بصاحبها مسرعة وهو متقنع بعمامته، وهو فريد عصره.

(٢) ينظر: تمهيد القواعد: ٧/ ٣٢٠٤، و(وحد) في العين، وتهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس.

نسيجُ وحدِهم، وهنَّ نسيجُ وحدِهن، وهكذا في بقية أخواته، حُكِيَ ذلك عن بعض النحاة(١).

* * *

١١- عطف البيان

هو اسم غير صفة، يكشف عن المراد كشفَها، ويُنَزَّل من المتبوع منزلةَ الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمت بها(٢).

والأصل فيه أن يكون للبيان والإيضاح، وقد يأتي لغير ذلك، فيفيد المدح، وقد ذهب إلى ذلك الزمخشريُّ في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾(٣)، فيقول:

"﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطف بيان على جهة المدح، لا على جهة التوضيح، كما تجيء الصفة كذلك"(٤).

وقد اعترض عليه أبو حيان بأن شرط عطف البيان الجمود، والجامد لا يشعر بمدح ولا ذم، فيقول:

---

(١) ينظر: الارتشاف: ٤/ ١٨١٣، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٢٠٤، والهمع: ٢/ ٥١٣.

(٢) ينظر: المفصل: ١٥٩.

(٣) سورة المائدة، من الآية/ ٩٧.

(٤) الكشاف: ١/ ٦٨١.

"وَلَيْسَ كَمَا ذَكَرَ؛ لِأَنَّهُمْ ذَكَرُوا فِي شَرْطِ عَطْفِ الْبَيَانِ الْجُمُودَ، فَإِذَا كَانَ شَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ جَامِدًا، لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِشْعَارٌ بِمَدْحٍ؛ إِذْ لَيْسَ مُشْتَقًّا، وَإِنَّمَا يُشْعِرُ بِالْمَدْحِ الْمُشْتَقِّ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَمَّا وَصَفَ عَطْفَ الْبَيَانِ بِقَوْلِهِ (الْحَرَامَ)، اقْتَضَى الْمَجْمُوعُ الْمَدْحَ، فَيُمْكِنُ ذَلِكَ"(١).

وأجاب الآلوسيُّ عن اعتراض أبي حيان بقوله:

"وقوله تعالى: ﴿ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ عطف بيان على جهة المدح؛ لأنه عرف بالتعظيم عندهم، فصار في معنى المعظم، أو لأنه وصف بالحرام المشعر بحرمته وعظمته، وذكر البيت كالتوطئة له، فالاعتراض بالجمود من الجمود دون التوضيح"(٢).

* * *

١٢- النداء

مما يستعمل في المدح عند العرب النداء، فقد ذكر بعض النحاة أن المنادى المفرد النكرة إذا كان مقصودًا جاز نصبه؛ لقصد المدح والتعظيم، قال ابن السراج:

(١) البحر المحيط: ٤/ ٣٧٢.

(٢) روح المعاني: ٧/ ٣٥.

"والكوفيون وقوم يجيزون: يا رجلُ قامَ، ويقولون: إن كان تعجبًا نصبت، كقولك: يا سيدًا ما أنتَ مِن سيدٍ, ويكون مدحًا كقولك: يا رَجُلًا لم أرَ مثلَه, وكذلك جميع النكرات عندهم"(١).

ومما ورد من ذلك قول الصلتان العبدي:

أيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مَثْلُهُ ☆☆ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ(٢)

فقد استشهد بهذا البيت الرضي في حديثه عن الشبيه بالمضاف، فجعل النكرة الموصوفة بالجملة أو شبه الجملة من قبيل الشبيه بالمضاف، فيقول:

"وإما نعت هو جملة أو ظرف، نحو قولك: يا حليمًا لا يعجلُ، ويا جوادًا لا يبخلُ، قال:

أيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مَثْلُهُ ☆☆ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ"(٣).

ومَثله قَول التبريزيّ في قول الفند الزماني:

أيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ يَفَنٍ بَال(٤):

---

(١) الأصول: ١/ ٣٧٦.

(٢) البيت من الطويل، ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٣٧، والمقتضب: ٤/ ٢١٥، والتعليقة على كتاب سيبويه: ١/ ٣٧٦، وشرح أبيات سيبويه:١/٣٩٨،وشرح الكافية للرضي:١/ ٣٥٥،وتمهيد القواعد:٧/ ٣٥٤٧،والخزانة:٢/ ١٧٤.

(٣) شرح الكافية للرضي: ١/ ٣٥٥.

(٤) البيت من الهزج، ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ: ٢٠٨، والأغاني: ٢٤/ ٨٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٨٠، وشرح الكافية للرضي: =

المنادى مَحْذُوف[١].

وقد خرجه بعض النحاة على حذف المنادى، وتقدير فعل ناصب لـــ(شاعرًا) على سبيل الاختصاص والتعجب، ويكون المعنى على ذلك: يَا هَؤُلَاءِ أَو يا قوم عَلَيْكُم شَاعِرًا، أَو حسبُكم بِهِ شَاعِرًا. وهو مذهب الخليل ويونس وسيبويه[٢]، ووافقهم في ذلك ابن عصفور[٣].

وجعل بعض النحاة هذا من قبيل المنادى المقصود، والنصب والتنوين من قبيل الضرورة الشعرية، يقول ناظر الجيش رادًّا على ابن عصفور:

"وأما قوله: إن (شاعرًا) من قول الشاعر: (أيا شاعرًا) منصوب على الإغراء فغير ظاهر؛ لأن (أيا) حرف نداء لا حرف تنبيه، وليس ثم منادى محذوف، فوجب أن يكون (شاعرًا) منادى، وأما نصبه فلا شك أن المنادى المعرفة المبني يجوز أن ينون للضرورة، وإذا نون فلك فيه وجهان: الضم تشبيها بمرفوع اضطر إلى تنوينه، وهو مستحق لمنع

=

٣/ ٢٢٤، والخزانة: ٢/ ١٧٥، ٧/ ١١٩، والشواهد الشعرية في أمات الكتب العربية: ٢/ ٣٩٣. اليفَن: الشيخ الكبير أو الفاني، والبال: النحيف الضعيف.

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٠٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٣٧، والخزانة: ٢/ ١٧٤.

(٣) ينظر: شرح الجمل: ٢/ ٨٥، ٨٦.

الصرف، والنصب تشبيها بالمضاف؛ لطوله بالتنوين... فعلى هذا يتوجه نصب (شاعرًا) لا على ما قاله من الإغراء"(١).

والأولى: أن يكون ذلك منصوبًا على النداء؛ لأن ذلك لا يحتاج إلى تقدير محذوف، ولثبوت ذلك عن العرب، قَالَ أَحْمد بن يحيى:

"(يَا شَاعِرًا) نصب بالنداء، وَفِيه معنى التَّعَجُّب، وَالْعرب تنادي بالمدح والذم، وتنصب بالنداء: فَيَقُولُونَ: يَا رجلًا لم أرَ مثلَه، وكَذَا: يَا طيبَكِ من لَيْلَة، وكَذَا: يَا شَاعِرًا"(٢).

* * *

١٣- الاختصاص

الاختصاص: هو تخصيص حكم علق بضمير بما تأخر عنه من اسم ظاهر معرَّف(٣).

وهو أسلوب يستعمل في المدح والفخر عند العرب، قال سيبويه:

"وذلك قولك: إنا معشرَ العربِ نفعلُ كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعلٌ لا يظهر، ولا يُستعمل، كما لم يكن ذلك في النداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطَب، وأنهم لا يريدون أن يحملوا الكلام على أوله،

(١) تمهيد القواعد: ٧/ ٣٥٤٧.

(٢) ينظر: الخزانة: ٢/ ١٧٥.

(٣) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح: ٢/ ٢٦٨.

ولكن ما بعده محمول على أوله... فإنما اختُصّ الاسم هنا؛ ليعرَف بما حُمل على الكلام الأول، وفيه معنى الافتخار"(١).

ومما ورد من ذلك قول بعض الأنصار:

لَنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ ☆☆ بِإِرْضَائِنَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدَا(٢)

وقول رؤبة بن العجاج: بنا تميماً يُكْشَفُ الضبابُ(٣)

وقول ذي الرمة:

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنَّنَا آلَ خِنْدَفٍ ☆☆ بِنَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ الْأَنَامُ وَيُبْصِرُ(٤)

وقول عمرو بن الأهتم:

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٣٤.

(٢) البيت من الطويل، ينظر: ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٤٩، وشرح شذور الذهب: ٢٨٣، والهمع: ٢/ ٣٠، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦٦٥، والشواهد الشعرية في أمات الكتب العربية: ١/ ٢٧٩. مؤثل: قديم أصيل.

(٣) هذا شطر بيت من الرجز، ينظر: الديوان: ١٦٩، والجمل للخليل: ٩٤، والكتاب: ٢/ ٢٣٤، والبديع في علم العربية: ١/ ١٤٤، وشرح المفصل: ١/ ٣٧١، وشرح التسهيل: ٣/ ٤٣٤، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٤٣٢، وارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٤٨، وتوضيح المقاصد: ٣/ ١١٥٠، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦٦٦، والمقاصد النحوية: ٤/ ١٧٧٧، والهمع: ٢/ ٣١، وشرح الأشموني: ٣/ ٨٣، والخزانة: ٢/ ٤١٣، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٩/ ٢٦.

(٤) البيت من الطويل، ينظر: الديوان: ٢٣٦، وشرح نقائض جرير والفرزدق: ٣/ ٩٠٩، والأغاني: ١٦/ ٣٦٦، وشرح المفصل: ١/ ٣٧٢.

إِنَّا بَنِي مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ ☆☆ فِينَا سَرَاةُ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا[1]

وحمل عليه بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾"[2]، فجعل "أهلَ البيت" منصوبًا على الاختصاص؛ مدحًا لهم[3].

فالمختص ينصب بفعل مضمر وجوبًا، كما ينصب التابع المقطوع عن متبوعه؛ لقصد المدح أو الذم أو غير ذلك من الأغراض، يقول ابن يعيش:

"ونصب هذه الأسماء كنصب ما ينتصب على التعظيم والشتم، بإضمار: (أريد، أو أعني، أو أختص)، فالاختصاص نوع من التعظيم والشتم، فهو أخص منهما؛ لأنه يكون للحاضر، نحو المتكلم والمخاطب، وسائر التعظيم والشتم يكون للحاضر والغائب. وهذا الضرب من الاختصاص يراد به تخصيص المذكور بالفعل، وتخليصه من غيره على سبيل الفخر والتعظيم"[4].

* * *

(١) البيت من البسيط، ينظر: الجمل للخليل: ٩٣، والكتاب: ٢/ ٢٣٣، والكامل للمبرد: ١/ ٩٥، وشرح أبيات سيبويه: ٢/ ٣٦، وشرح المفصل: ١/ ٣٧١، وارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٤٩، والهمع: ٢/ ٣٠، والخزانة: ٨/ ٣٠٦.
سراة: جمع سري، وهو الشريف ذو المروءة، والنادي: مكان اجتماع القوم.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية/ ٣٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤١١، والدر المصون: ٦/ ٣٥٨.

(٤) شرح المفصل: ١/ ٣٧٣.

١٤- أسلوب الاستفهام

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وهو الاستخبار عن الأمر المجهول، ويستعمل لإفادة التعظيم والمدح للمستفهم عنه، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾(١)، يقول الشوكانيّ:

"و﴿ أَصۡحَابُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ: ﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ فِي حَالِهِمْ وَصِفَتِهِمْ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ، وَتَكْرِيرُ الْمُبْتَدَأِ هُنَا بِلَفْظِهِ مُغْنٍ عَنِ الضَّمِيرِ الرَّابِطِ ... وَلَا يَجُوزُ مِثْلُ هَذَا إِلَّا فِي مواضع التفخيم والتعظيم"(٢).

وقول السفاح بن بكير اليربوعي:

يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ ☆☆ مُوَطَّأِ الْأَكْنَافِ رَحْبِ الذِّرَاعْ(٣)

---

(١) سورة الواقعة، الآية/ ٨.

(٢) فتح القدير: ٥/ ١٧٨.

(٣) البيت من السريع، ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٢، ٣٩٧، وشرح الشافية للرضي: ٤/ ٣٠٨، وشرح الكافية للرضي: ٣/ ٥٠، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٢٤، والتذييل والتكميل: ٩/ ١٠٥، ١١٥، ٢٣٦، ١٠/ ١٨١، ١١/ ١٤١، وشرح قطر الندى: ٣٢٠، وتمهيد القواعد: ٥/ ٢٣٠١، ٦/ ٢٦١٥، ٧/ ٣٥٥٤، والتصريح: ١/ ٦٢٦، والهمع: ٢/ ٤١، ٣٣٩، ٣/ ٤٨، والخزانة: ١/ ٢٩٠، ٣/ ٣٠٨، ٦/ ٩٥. موطأ الأكناف: سهل كريم مضياف لا يتعب قاصده، رحب الذراع: قوي عند الشدائد مطيق لعظائم الأمور.

وقول الكميت الأسدي:

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ ☆☆ إِذَا دَعَتْكَ إِلَيْهَا الْكَاعِبُ الْفُضُلُ[1]

وقول الأعشى الكبير: ☆☆ يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَهْ[2]

يقول أبو حيان:

"وأما قول الشارح في الشرح (والاستفهام المقصود به التعظيم، نحو: يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَهْ)[3]، فـ(جارة) عنده منصوب على الحال, والعامل فيها (ما) الاستفهامية بما تضمنت من معنى التعظيم, فكأنه

---

(١) البيت من البسيط، ينظر: الديوان: ٢/ ٩، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب: ٢٢١، التذييل والتكميل: ٩/ ١٠٦، والخزانة: ٣/ ٣٠٨، و(ألل) في الصحاح، واللسان، وتاج العروس، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٦/ ٢٣٦. الغبراء: الأرض، الكاعب: الجارية التي يبدو ثديها للنهود، الفضل: المرأة المتخفف من ثيابها.

(٢) هذا عجز بيت من مجزوء الكامل، وصدره: (بَانَتْ لِتُحْزِنَنَا عَفَارَهْ)، ينظر: الديوان: ١٥٣، وأمالي ابن الحاجب: ١/ ٣٦٨، وشرح التسهيل: ٢/ ٣٤٤، ٣٨٠، ٣/ ٣٢، وشرح الكافية للرضي: / ٧٣، واللمحة في شرح الملحة: ١/ ٥٠٤، والتذييل والتكميل: ٩/ ٩٥، ٢١٤، ١٠/ ١٧٦، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٧١٠، وتمهيد القواعد: ٥/ ٢٣٠٠، ٢٣٥٨، ٦/ ٢٦١٥، والمقاصد النحوية: ٣/ ١٤٧٢، وشرح الأشموني: ٢/ ٢٢، ٤٦، ٢٦٢، والخزانة: ٣/ ٣٠٨، ٥/ ٤٨٦.

(٣) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ٣٤٤.

قال: ما أعظمك جارة! وهذا تفسير معنًى، وتفسير الإعراب: أَيُّ عظيمةٍ أنت في حال كونك جارةً"(١).

* * *

١٥- أسلوب النفي

مما يستعمل في المدح عند العرب أسلوب النفي؛ وذلك لأن النفي في الجملة الاسمية يفيد نفي اتصاف المبتدأ بالخبر، ويثبت له ما يخالف تلك الصفة عن المبتدأ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

فالنفي يقتضي نفي اتصاف المبتدأ بالخبر، ويثبت له صفة مغايرة لهذا الخبر، فَإِن إِخْرَاجه من جنس البشرية تَتَضَمَّن لَا محَالة دُخُوله فِي جنس آخر، فَكَانَ جعله ملكًا هو المَقْصُود من ذَلِك الْجِنْس. يقول أبو حيان معقبًا على هذه الآية الكريمة:

"لما كان غريبَ الجمال فائقَ الحسن عما عليه حسنُ صور الإنسان، نفين عنه

البشريةَ، وأثبتن له الملكيةَ؛ لما كان مركوزًا في الطباع حسنُ الملَك، وإن كان لا يرى. وقد نطق بذلك شعراء العرب والمحدثون، قال بعض العرب:

---

(١) التذييل والتكميل: ٩/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة يوسف، من الآية/ ٣١.

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكِ[1]"[2].

ومن ذلك قولهم: (ما مثلَك أحدٌ)، أو (ما كان أحدٌ مثلَك)، قال ابن الحاجب:

"فإذا قال: ما كان أحدٌ مثلَك، فقد نفي مماثلة كل أحدٍ له؛ لأن الضمير المرفوع في (مثل) لأحد، والكاف في معنى المفعول، والمعنى: ما كان أحدٌ مماثلًا لك، أي: مشبهًا لك، فنفي مشابهة كل أحد له، فصار المعنى: بلغتَ مبلغًا من الفضل لم يشابهك أحد فيه"[3].

ومن ذلك: (وإذ ما مثلَهم بشرُ) في قول الفرزدق:

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ ☆☆ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مَثَلَهُمْ بَشَرُ[4]

---

(١) هذا صدر بيت من الوافر، وعجزه: (تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوب)، وهو بلا نسبة في: الكتاب: ٤/ ٣٨٠، والأصول في النحو: ٣/ ٣٣٩، واللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ٢٥٨، وأمالي ابن الحاجب: ٢/ ٨٤٣، وشرح الشافية للرضي: ٢/ ٣٤٦، وارتشاف الضرب: ٥/ ٢٣٨٣، وتمهيد القواعد: ١٠/ ٥٢٣٥، والشواهد الشعرية في أمات الكتب العربية: ١/ ١٨٤.

(٢) البحر المحيط: ٥/ ٣٠٤.

(٣) أمالي ابن الحاجب: ٢/ ٨٤٣.

(٤) البيت من البسيط، ينظر: الديوان: ١/ ٣١٦، والكتاب: ١/ ٦٠، والمقتضب: ٤/ ١٩١، والبديع في علم العربية: ١/ ٥٦٩، واللباب: ١/ ١٧٦، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٣٩٥، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ١٨٨، والتذييل والتكميل: ٤/ ٢٦٦، ٥/ ٥٣، ٧/ ٢٩٧، وأوضح المسالك: ١/ ٢٧٠، ومغني اللبيب: ١١٤، ٤٧٥، ٦٧١، ٧٨٣، وشرح ابن عقيل: ١/ ٣٠٤، =

قال الأعلم:

"نصب ضرورة؛ لئلا يختلط المدح بالذم؛ لأنك إذا قلت: ما مثلُك أحدًا، فنفيت الأحديّة، احتمل أن يكون مدحًا وذمًا، فإذا نصبت (مثلَك)، ورفعت (أحدًا)، كان الكلام مدحًا، فلذلك نصب (مثلهم) في البيت"(١).

ومما يحتمل المدح والذم قولهم: (ما مثلُكَ أحدًا)، يقول ابن الحاجب:

"وأما إذا قصدت معنى المبالغة في الذم أو المدح كان جائزًا، ... فيكون قوله: (ما مثلُك أحدًا)- في مقصود المدح- إما على معنى: ما أنت بشرًا، أي: بل أعلى من البشر، وإذا كان مماثلُه أعلى من البشر، كان هو كذلك من طريق الأولى؛ لأن المشبه به أقوى في المعنى المراد من المشبه. ويكون معناه في الذم: ما أنت بشرًا، بل أدنى من البشر، يريد: البهيمية وشبهها، كما أراد في المدح الملكية وشبهها"(٢).

* * *

=

وتمهيد القواعد: ٣/ ١٢٠٢، ١٣٤٠، ٤/ ١٩٢٥، ٧/ ٣٢٣٨، والتصريح: ١/ ٢٦٤، والهمع: ٢/ ٢٣٤، ٣٣٤، وشرح الأشموني: ١/ ٢٢٦، ٢٥٦، والخزانة: ٤/ ١٣٣.

(١) ينظر: التذييل والتكميل: ٤/ ٢٦٨، وتمهيد القواعد: ٣/ ١٢٠٥.

(٢) أمالي ابن الحاجب: ٢/ ٨٤٤.

١٦- أَبَيْتَ اللَّعْن

مما يستعمل في المدح عند العرب قولهم في تحية الملوك عند مخاطبتهم: (أبيتَ اللعن)، فكانوا في الجاهلية يحيون بها ملوكهم؛ لاستعطافهم(١)، ومعناها: أبيت أسباب لعن الناس لك، أو أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه(٢)، وقيل: معناه: أنك أبيتَ أنْ تلعنَ وافدَك وقاصدك، أي: أبيت أن تبعده(٣)، وذكر ابن الأنباريّ أن هذا تحية لخم وجذام، وأن معناها: أَبيت أَن تَأتي من الْأَخْلَاق المذمومة مَا تلعن عَلَيْهِ(٤).

وردت هذه العبارة عن العرب على وجهين(٥):

الأول: أن تفتح النون من لفظة (اللعنَ)، فتكون (أبيت) فعلًا ماضيًا، و(اللعن) منصوبًا على المفعولية، ويكون معناها: أبيت أن تأتي من الأشياء ما تستحق اللعن عليه.

وعلى ذلك يقال للواحد: أبيتَ اللعنَ، ويقال للاثنين: أَبَيْتُما اللعنَ، وللجميع: أبيتم اللعنَ، ويبنى التأنيث على التذكير، قال النابغة الذبياني:

---

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٥٤.

(٢) ينظر: إصلاح المنطق: ٢٢٩، وتهذيب اللغة: (لعن).

(٣) المصباح المضيء: ٢/ ١٨٠.

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٢٥٠، والخزانة: ٢/ ٤٦٠.

(٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٢٥٠.

هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ ☆☆☆ فَلَمْ أُعَرِّضْ أُبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ(١)

وقال لبيد بن ربيعة:

مَهْلاً أُبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهْ ☆☆☆ إِنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ(٢)

والثاني: أن تكسر النون من (اللعنِ)، فتكون الهمزة للنداء، و(بيتَ) مفرد البيوت منادى منصوبًا، وهو مضاف، و(اللعنِ) مضاف إليه، والتقدير: يا بيتَ اللعنِ، ويكون المعنى: يا بيت السلطان والقدرة والغضب والطرد والإبعاد، ويقال في التثنية: أبيتَيْ اللعنِ، وفي الجميع: أأبياتَ اللعنِ.

وقد ذكر بعض اللغويين أن الفراء حكَى هذا الوجه عن بعض العرب، ونهى عن استعماله، واستقبحه(٣).

---

(١) البيت من البسيط، ينظر: الديوان: ٢٧، والكامل في اللغة والأدب: ٣/ ١٥، والأفعال للمعافري: ٣/ ٤٣٢، وشرح القصائد العشر للتبريزي: ٣٢٢، وتخليص الشواهد: ٣٦٦، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٢/ ٤١٨. الصفد: من أصفدته، إذا أعطيته.

(٢) البيت من الرجز، ينظر: الديوان: ٦٠، وشرح أبيات سيبويه: ١/ ٢٣٢، وشرح المفصل: ٢/ ٨٦، والمقاصد النحوية: ٢/ ٦٢٠، وشرح شواهد المغني: ١/ ١٨٩، والخزانة: ٤/ ١٢.

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٢٥٠، والإبانة في اللغة: ٢/ ١٣٧، والخزانة: ٢/ ٤٦٠.

المبحث الثاني

ما يستعمل في الذم دون المدح

١- قَوْلُهم: (لا أُمَّ لَكَ)

مما يستعمل في الذم عند العرب قولهم: (لا أُمَّ لكَ)، والمعنى: لا أمَّ لك حُرَّة معروفة، أو أنت لقيط لا تعرف لك أمٌّ[١]، جاء في اللسان:

"لأَن قَوْلَهُ (لَا أُمَّ لَكَ) فِي مَذْهَبٍ: لَيْسَ لَكَ أُمٌّ حُرَّة، وَهَذَا السَّبُّ الصَّرِيح؛ وَذَلِكَ أَنّ بَنِي الإِماء عِنْدَ الْعَرَبِ مَذْمومون لَا يَلْحَقُونَ بِبَنِي الحَرائر، وَلَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ (لَا أُمَّ لَكَ) إِلَّا فِي غضَبه، عَلَيْهِ مُقَصِّرًا بِهِ شاتِمًا لَهُ"[٢].

وذهب بعض أهل اللغة إلى أنه قد يستعمل في المدح، وممن ذهب إلى ذلك: أبو عبيد، والليث، والخليل، وأبو منصور الأزهري، والجوهري[٣]، يقول أبو عبيد:

"وَقد وجدنَا قَوْلهم: (لَا أمَّ لَك) قد وُضِع مَوضِع الْمَدْح، قَالَ كَعْب بْن سعد الغنوي يرثي أَخَاهُ:

---

(١) ينظر: (أمم) في: تهذيب اللغة، وتاج العروس.

(٢) لسان العرب: (أمم)

(٣) ينظر: (أمم) في: العين، وتهذيب اللغة، والصحاح، واللسان، وتاج العروس.

هَوَتْ أمه مَا يبْعَث الصبحَ غاديا ☆☆ وماذا يُؤَدِّي الليلُ حِين يؤوب[(١)"(٢)].

فهو يرى أن قوله (هوت أُمُّه) المراد به المدح والتعجب، فكذلك قولهم: (لا أمَّ لكَ) يراد به المدح.

وقد رد أبو الهيثم ما ذهب إليه أبو عبيد، فقال:

"وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا كَقَوْلِهِمْ: وَيْحَ أُمِّه، ووَيْلَ أُمِّه والوَيلُ لَهَا، ولَيْسَ للرَّجُلِ فِي هَذَا مِنَ المَدْح مَا ذهَب إِلَيْهِ، ولَيْسَ يُشْبِه هَذَا قَوْلَهُمْ: (لَا أُمَّ لَكَ)؛ لأَن قَوْلَهُ: (لَا أُمَّ لَكَ) فِي مَذْهَب: لَيْسَ لَكَ أُمٌّ حُرَّة، وَهَذَا السَّبُّ الصَّرِيح، ... وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ: (لَا أُمَّ لَكَ): يَقُولُ: أَنْتَ لَقِيطٌ لَا تُعْرَف لَكَ أُمٌّ"(٣).

ويقول البغدادي:

"وأمّا (لَا أمَّ لَك) فَلَا يُقَال إلاّ فِي الذّم وَحده، دلّ على ذَلِك استقراء كَلَام الْعَرَب"(٤).

---

(١) البيت من الطويل، ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٦٥٨، ومجمع الأمثال: ٢/ ٣٩٠، والخزانة: ١٠/ ٤٣٥، و(أمم) في الصحاح، واللسان، وتاج العروس، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ١/ ٢٧٦.

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام: (وسم) ٢/ ٩٥.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس: (أمم).

(٤) خزانة الأدب: ٤/ ١٠٤.

وذهب بعض أهل اللغة إلى أن قولهم: (لا أمَّ لك) لا يراد بها مدح أو ذم، بل هي عبارة تجري على ألسنتهم، كقولهم: ثكلتك أمُّك، يقول القاضي عياض مبيِّنًا لقول ابن عباس: "لا أمَّ لك"(١):

"وَقَوله: (تِلْكَ صَلَاةُ النَّبِيِّ، لَا أمَّ لَك) هِيَ كلمة تدعم الْعَرَب بهَا كَلَامهَا، لَا تُرِيدُ بهَا الذَّم، بل عِنْد إِنْكَار أمر أو تعظيمه"(٢).

والرأي الراجح: هو ما ذهب إليه القاضي عياض، وهو أن قولهم: (لا أمَّ لك) لا يراد به مدح ولا ذم لذاته، بل هي عبارة تجري على اللسان عند إنكار أمر ما أو تعظيمه؛ وذلك لجريانها على ألسنة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– وهم أرفع مكانة عن الشتم والذم، فقد روي عن الفاروق عمر أنه قال لابنه عبد الله عند وفاته: "ضَعْ رَأْسِي بِالْأَرْضِ– لَا أُمَّ لَكَ– كَمَا آمُرُكَ"(٣).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– السابق: "أَنَّهُ قَالَ لرجُل: لَا أُمَّ لكَ".

وقال رجل من بني مذحج:

---

(١) الحديث في صحيح البخاري: باب إتمام التكبير في السجود، رقم (٧٨٧)، ١/ ١٥٧، ومسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن عباس، رقم (٢٢٥٧)، ٣/ ٣٨، والمعجم الكبير للطبراني: رقم (١١٨٣٢)، ١١/ ٣١٠.

(٢) مشارق الأنوار: (أمم) ١/ ٣٨.

(٣) الحديث في مصنف بن أبي شيبة: كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم (٣٤٤٨١)، ٧/ ٩٨، والزهد لأبي داوود: باب من زهد عمر وأخباره/ ٦٥.

هَذَا لَعَمْرُكُمْ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ ☆☆ لاَ أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ[1]

* * *

٢- (فُعَلُ، وفَعَالِ) في النداء

مما يستعمل في الذم قولهم في النداء: (يا فُعَلُ) في سب المذكر، و(يا فَعالِ) في سب الأنثى، نحو: يا لُكَعُ، ويا فُسَقُ، ويا لَكاعِ، ويا فَساق، قال المبرد:

"وَالْعدْل يُوجب التكثير؛ كَمَا أَن (يَا فسقُ) مُبَالغَة في قَوْلك: يَا فَاسق، وكَذَلِكَ: يَا لُكَعُ، ويَا لَكَاعِ"[2].

وقال ابن مالك:

..... ☆☆ ..... وَاطَّرَدَا

فِي سَبِّ الانْثَى وَزْنُ يَا خَبَاثِ ☆☆ وَالأَمْرُ هَكَذَا مِنَ الثُّلاَثِي

وَشَاعَ فِي سَبِّ الذُّكُورِ فُعَلُ ☆☆ وَلا تَقِسْ ..... [3]

---

(١) البيت من الكامل، ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٢، والمقتضب: ٤/ ٣٧١، والأصول في النحو: ١/ ٣٨٦، واللمع في العربية: ٤٥، والمفصل: ١٠٩، والبديع في علم العربية: ١/ ٥٧٩، وشرح المفصل: ٢/ ١٠٨، والتذييل والتكميل: ١/ ٦١، وأوضح المسالك: ٢/ ١٤، وشرح ابن عقيل: ٢/ ١٣، والتصريح: ١/ ٢٤٥، والهمع: ٣/ ٢٣٧، والخزانة: ٢/ ٣٨.

(٢) المقتضب: ٣/ ٣٨١.

(٣) الخلاصة الألفية: ٥١.

وقد اتفق النحاة على أن وزن (فَعَالِ) في ذمّ الأنثى وسبِّها ينقاس اشتقاقه في النداء من كل فعل ثلاثي تام متصرف[١].

واختلفوا في قياسية (فُعَل) في ذم المذكر وسبه، وذلك على قولين:

الأول: أن (فُعَل) في سب المذكر يطرد من الفعل الثلاثي التام المتصرف، كما أن (فَعَال) في سب الأنثى يطرد منه، وهو ظاهر كلام المبرد في قوله:

"فإذا أريد به مذهب المعرفة، جاز أن تبنيه في النداء من كل فِعْلٍ؛ لأن المنادي مشار إليه، وذلك قولك: يا فُسَقُ، ويا خُبَثُ، تريد: يا فاسقُ، ويا خبيثُ"[٢].

ووافقه في ذلك الرضي[٣]، وابن عصفور[٤]، ونسب إلى سيبويه[٥].

والثاني: أن (فُعَل) في سب المذكر لا ينقاس، بل يقتصر فيه على ما سمع عن العرب، وإليه ذهب بعض النحاة، كابن مالك[٦] كما صرح به

(١) ينظر: تمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٦.
(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٣/ ١٢٣١.
(٣) ينظر: شرح الكافية: ١/ ٤٣٠.
(٤) ينظر: شرح الجمل: ٢/ ١٠٥.
(٥) ينظر: شرح الكافية للرضي: ١/ ٤٣٠، والارتشاف: ٥/ ٢٢٢٦.
(٦) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣/ ١٣٣٠.

في كلامه السابق في الألفية، ووافقه في ذلك المرادي، وابن هشام، وابن عقيل، والأشموني(١).

وقد نقل أبو حيان عن بعض النحاة أن المسموع فيه: يا لُكَعُ، ويا فُسَقُ، ويا خُبَثُ، يا غُدَرُ(٢).

والنحاة على أن (فُعَل) و(فَعَال) في الذم لا يستعملان إلا في النداء خاصة، وجعلوا قول الحطيئة في هجاء امرأته:

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ، ثُمَّ آوِي ☆☆ إِلى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ(٣)

وقول أم عمران بن الحارث الخارجي:

يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلانًا لِيَرْزُقَهُ ☆☆ شَهَادَةً بِيَدَيْ مِلْحَادَةٍ غُدَرِ(٤)

---

(١) ينظر: توضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٧، وأوضح المسالك: ٤/ ٣٩، وابن عقيل: ٣/ ٤٨، والأشموني: ٣/ ٣٧٨.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٢٦.

(٣) البيت من الوافر، ينظر: الديوان: ٩٣، والمقتضب: ٤/ ٢٣٨، والبديع في علم العربية: ١/ ٤١٠، وشرح المفصل: ٣/ ٥٦، وشرح التسهيل: ٣/ ٤٢٠، وشرح الكافية الشافية: ٤/ ١٣٣١، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٤٣٠، واللمحة في شرح الملحة: ٢/ ٩١٤، والتذييل والتكميل: ٤/ ١٤٧، وتوضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٩، وأوضح المسالك: ٤/ ٣٩، وشرح ابن عقيل: ١/ ١٣٩، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٢، والمقاصد النحوية: ١/ ٤٣٨، ٤/ ١٧٠٧، والتصريح: ٢/ ٢٤١، والهمع: ٢/ ٦٢، وشرح الأشموني: ٣/ ٤٦، والخزانة: ٢/ ٤٠٤.

(٤) البيت من البسيط، ينظر: الكامل: ٢/ ٢٣٣، ٢٣٧، وارتشاف الضرب: ٥/ ٥/ ٢٢٢٦، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٦، والهمع: ٢/ ٦١، والشواهد =

من باب الضرورة الشعرية[١]؛ لاستعمال الشاعر (لكاعِ) في البيت الأول خَبرًا، واستعمال الآخر (غُدَر) نعتًا، وهما لا تُستعملان إلا في النداءِ.

وخرج بعضهم البيت الأول على إضمار قول يكون هو الخبر، فيكون التقدير: إلى بيت قعيدتُه مقولٌ لها: يا لكاعِ[٢].

وأجاز المبرد أن يكون (غُدَر) في البيت الثاني وصفًا كـ(حُطَم، ولُبَد)، وليس مما يختص بالنداء[٣].

وقالوا: ما ورد في حديث: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ لُكَعُ بنُ لُكَعٍ"[٤].

ليس (لُكَعُ) فيه مما يختص بالنداء، بل هو وصف كـ(حُطَم) و (لُبَد)؛ لأنه جاء فيه (ابن لكعٍ) مصروفًا[٥].

* * *

=

الشعرية في أمات الكتب العربية: ١، ٥٥٢، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٣/ ٤٧٤. ملحادة: مِفْعال من الإلحاد.

(١) ينظر: أوضح المسالك: ٤/ ٤٠، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٦، والهمع: ٢/ ٦١، والأشموني: ٣/ ٤٦.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٩، تمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٨.

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ٢٣٧.

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد برواية حذيفة بن اليمان، ونصه: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ "، حديث رقم (٢٣٣٠٣)، ج ٣٨/ ٣٣٤.

(٥) ينظر: تمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٨.

المبحث الثالث

ما يستعمل في المدح والذم

١- تعريف العلم بـ(أل)

العلم: هو ما وضع ليعين مسماه تعيينًا مطلقًا، وهو إما مرتجل: وهو ما لم يعرف له استعمال في غير العلمية، كـ(سعاد)، وإما منقولًا: وهو ما استعمل قبل العلمية، ثم تجدد جعله علمًا، ويكون منقولًا عن صفة كـ(حارث، وعبَّاس)، أو مصدر كـ(فَضْل)، أو اسم عين كـ(أَسَد)، أو غير ذلك.

والاسم المنقول إلى العلمية- وإن كان صفة- يصير بعد النقل بمثابة الاسم الجامد الذي وضع لتعيين مسماه دون النظر إلى معناه القديم، وقد يكون فيه معنًى من المعاني، كالمدح أو الذم أو غيرهما، فإذا أريد ألا تنقطع تلك الصلة المعنوية، وأن تبقى الكلمة المنقولة مشتملة على الأمْرين معًا، وهما: معناها الأصلي السابق، ودلالتها الجديدة، وهي: العلمية، تزاد في أولها (أل)؛ لتكون علامة ورمزًا دالًّا على المعنى القديم تلميحًا، بالإضافة إلى دلالته على المعنى الجديد، وهو العلمية مع الجمود، فتقول في (حَسَن) علمًا: (الحَسَن)، وفي (جَهْم) علمًا: (الجَهْم). قال الفراء:

"لا تكاد العرب تدخل الألف واللام فيما لا يُجْرَى، مثل: (يزيد، ويعمر) إلا فِي شعر، أنشد بعضهم:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا ☆☆ شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ[1]

وإنَّما أَدْخل فِي (يزيد) الألف واللام لَمَّا أدخلها فِي (الوليد)، والعربُ إِذَا فعلت ذَلِكَ فقد أمسَّت الحرف مدحًا"[2].

وقال الرضي:

"إنما دخلت اللام في مثلها بعد العلمية، وإن لم يكن العلم محتاجا إلى التعريف؛ وذلك للمح الوصفية الأصلية، ومدح المسمى بها إن كانت متضمنة للمدح، كـ(الحَسَن، والحُسَيْن)، وذمه إن كانت متضمنة للذم، كـ(القبيح، والجَهْم)، لو سمي بهما، فكأنك أخرجتها عن العلمية، وأطلقتها على المسمين أوصافًا، ومن ثم قيل في المثل: إنما سميت هانئًا لتهنا ... وما ليس منقولًا من الوصف والمصدر، فإن كان في الأصل المنقول منه معنى المدح أو الذم، فالأولى جواز لمح الأصل،

---

(١) البيت من الطويل، وهو لابن ميادة، ينظر: المفصل: ٣٠، والإنصاف: ١/ ٢٥٩، والبديع في علم العربية: ٢/ ٣٦، وشرح الكافية الشافية: ١/ ١٨٠، وشرح الشافية للرضي: ١/ ٣٨، ٤/ ١٢، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٣٦٩، ٣/ ٢٥٧، وتوضيح المقاصد: ١/ ٣٤٣، وأوضح المسالك: ١/ ٩٠، ١٨٥، ومغني اللبيب: ٧٥، وتمهيد القواعد: ١/ ٢٤٨، والتصريح: ٨٤، ١٨٦، والهمع: ١/ ٩٢، وشرح الأشموني: ١/ ٧٣، ١٧١، والخزانة: ٢/ ٢٢٦، ٩/ ٤٤٢. أحناء: جمع حنو، وهو طرف الشي وناحيته، والمراد: مهامها وتكاليفها، والكاهل: أعلى الظهر.

(٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٤٢.

نحو: (الأسَد) في المسمى بـــ(أَسَد)، و(الكَلْب) في المسمى بـــ(كَلْب)، قالوا: (بنو الليث) في: بني ليث بن بكر بن مناة"[1].

* * *

٢- لا أبَا لَكَ

ذهب بعض اللغويين والنحاة إلى أن قَولهم: (لَا أَبَا لَك) مما يستعمل في المدح والذم عند العرب.

وقد وردت هذه العبارة عن العرب على عدة أوجه[2]:

الوجه الأول: **أن يقال**: (**لا أبَ لك**) **بفتح الباء دون ألف**، فتكون (لا) نافية للجنس، و(أب) اسمها مبنيٌّ على الفتح، و(لك) خبرها، قال الشاعر:

فَلَا أبَ وَابْنًا مِثْلَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ ☆☆ إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا[3]

---

(١) شرح الكافية للرضي: ١/ ٣٦٨.

(٢) ينظر: اللامات للزجاجي: ١٠٥: ١٠٧، واللباب للعكبري: ١/ ٢٤٠: ٢٤٣، وشرح المفصل: ٢/ ١٠٠.

(٣) البيت من الطويل، وهو لرجل من بني عبد مناة يمدح مروان بـــن الحكـــم وابنه عبد الملك، ينظر: الجمل للخليل: ١٨٦، والكتاب: ٢/ ٢٨٥، واللامات للزجاجي: ١٠٥، واللمع في العربية: ٤٦، والمفصل: ١٠٨، والبديع في علم العربية: ١/ ٥٧٨، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ١٦٨، واللمحة فـــي شـــرح الملحة: ١/ ٤٩٦، والتذييل والتكميل: ٥/ ٢٩٧، وتوضيح المقاصد: ١/٥٤٩، =

وَقَالُوا: (لابَ لَكَ)، يُرِيدُونَ: لَا أَبَ لَكَ، فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ أَلبتَّة، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُمْ: وَيْلُمِّه، يُرِيدُونَ: وَيْلَ أُمِّه[1].

الوجه الثاني: **أن يقال**: (**لا أبٌ لكَ**) **بالرفع**، فيكون (أبٌ) مرفوعًا بالابتداء، و(لا) نافية غير عاملة، و(لك) الخبر، أو (لا) عاملة عمل ليس، و(أبٌ) اسمها، و(لك) خبرها.

الوجه الثالث: **أن يقال**: (**لا أبَا لكَ**)، **وللنحاة في توجيه ذلك عدة أقوال**:

أحدها: أن تكون (لا) نافية للجنس، و(أبا) اسمها منصوب، وهو مضاف إلى الكاف، واللام زائدة بين المضاف والمضاف إليه، والخبر محذوف، فيكون التقدير: لا أبا لك موجودٌ في زمان أو مكان، وهذا ما عليه سيبويه وجمهور النحاة[2].

قال سيبويه:

"اعلم أن التنوين يقع من المنفي في هذا الموضع إذا قلت: لا غلامَ لكَ، كما يقع من المضاف إلى اسم، وذلك إذا قلت: لا مثلَ زيد، والدليل على ذلك قول العرب: لا أبا لكَ، ولا غلامَيْ لكَ، ولا مُسلمَيْ لكَ. وزعم

=

وأوضح المسالك: ٢/ ١٩، والتصريح: ١/ ٣٤٩، والهمع: ٣/ ٢٣٧، وشرح الأشموني: ١/ ٣٤٠، والخزانة: ٤/ ٦٧.

(١) ينظر: (أبو) في اللسان، وتاج العروس.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٧٦، والأصول في النحو: ١/ ٣٨٩، واللامات للزجاجي: ١٠٠، والتصريح: ١/ ٣٤٤، والهمع: ١/ ٥٢٢ .

الخليل- رحمه الله- أن النون إنما ذهبت للإضافة؛ ولذلك ألحقت الألف التي لا تكون إلا في الإضافة"[١].

وقد يعترض على هذا القول من وجهين:

أحدهما: أنه يترتب عليه الجمع بين المتضادين؛ لأن وجود الألف يدل على الإضافة والتعريف، وزيادة اللام تقتضي الانفصال والتنكير، وهما متدافعان[٢].

والآخر: قولهم: (لا أبا لي) بالألف مع الإضافة إلى ياء المتكلم، ولو كان مضافًا إلى الياء؛ لحذفت الألف، وقيل: لا أبِ لي، لأن الياء يكسر ما قبلها، واللام زائدة في تقدير السقوط، فهذا دليل على عدم الإضافة[٣].

وَيُجاب عن الأول بأمرين[٤]:

الأول: أن الْإِضَافَة غير مَحْضَة؛ لأن (أبا) مبهمة لا تتعرف بالإضافة- كـــ(مثلك، وَغَيْرك) ونحوهما- لِأَنَّهُ لم يقْصد نفي أَب معِين، فَلم تعْمل (لَا) فِي معرفَة، وزيدت اللَّام تحسينا للفظ؛ لِئَلَّا تدخل لَا على مَا ظَاهره التَّعْرِيف.

---

(١) الكتاب: ٢/ ٢٧٦.

(٢) ينظر: الخصائص: ١/ ٣٤٣.

(٣) ينظر: تمهيد القواعد: ٣/ ١٤١٤، والتصريح: ١/ ٣٤٤.

(٤) ينظر: الخصائص: ١/ ٣٤٤، وحاشية الصبان: ٢/ ٨.

والثاني: أن قولهم: (لا أبا لكَ) كلام جرى مجرى المثل؛ لأن المتكلم به لا يقصد نفي الأب في الحقيقة، وإنما يخرجه مخرج الدعاء، أي، أنت عندي ممن يستحق أن يدعى عليه بفقد أبيه.

ومما يؤكد ذلك كثرته في الشعر، وأنه يقال لمن له أب ولمن ليس له أب. فهذا الكلام دعاء في المعنى، وإن كان في اللفظ خبرًا. ويدلُّك عَلَى أَن هَذَا لَيْسَ بِحَقِيقَةِ قَوْلِ جَرِيرٍ:

يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمُ ☆☆ لَا يَلْقَيَنَّكُمُ فِي سَوْءَةٍ عُمَرُ(١)

فَهَذَا أَقْوَى دليلٍ عَلَى أَن هَذَا الْقَوْلَ مَثَلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ لأَنه لَا يَجُوزُ أَن يَكُونَ للتَّيْم كلِّها أَبٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّ المعنى أنهم كُلّهُمْ أَهل للدُّعاء عَلَيْهِم والإِغلاظ لَهُم.

وقال عنترة بن شداد:

فَاثْنَيْ حَيَاءَكِ لَا أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي ☆☆ أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ(٢)

---

(١) البيت من البسيط، ينظر: الديوان: ٢١٩، والكتاب: ١/ ٥٣/ ٢/ ٢٠٥، والمقتضب: ٤/ ٢٢٩، والأصول: ١/ ٣٤٣، والخصائص: ١/ ٣٤٦، والمفصل: ٦٦، والبديع في علم العربية: ١/ ٤٠٧، وشرح المفصل: ١/ ٣٤٦، ٢/ ١٠١، ١٨٩، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٣٨٥، والتذييل والتكميل: ٥/ ٣٦٣، وتوضيح المقاصد: ٢/ ١٠٨١، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٥٧٧، والهمع: ٢/ ٥٧، ٣/ ١٦٣، وشرح الأشموني: ٣/ ٣٨، والخزانة: ٢/ ٢٩٨، ٤/ ١٠٧، .

(٢) البيت من الكامل، وهو لعنترة بن شداد، ينظر: الديوان: ٢٥٢، والأغاني: ٨/ ٢٤٨، الخصائص: ١/ ٣٤٥، والأفعال للمعافري: ٢/ ٩٣، والخزانة: =

ويرد على الثاني بأمرين[1]:

أحدهما: أنه ورد بصريح الإضافة عن العرب شذوذًا، ومن ذلك البيتان المذكوران في الوجه الرابع.

والآخر: أنه لا يلزم كسر ما قبل ياء المتكلم إلا إذا وصل بها لفظًا.

وثانيها: أن (أبا) جاء على لغة القصر، وهو اسم (لا) مفرد، وحذف تنوينه للبناء، و(لك) خبرها، وليست اللام زائدة بين المضاف والمضاف إليه، ونسب هذا القول إلى بعض النحاة، كأبي علي الفارسي وابن يسعون وابن الطراوة[2]، وممن ذهب إلى ذلك أبو الفتح بن جني، إذ يقول:

"وإذا كان كذلك، جاز جوازًا حسنًا أن يكون- قولهم: لا أبا لكَ- (أبا) منه اسم مقصور، كما كان ذلك في (أخا لكَ)، ويحسنه أنك إذا حملت الكلام عليه، جعلت له خبرًا، ولم يكن في الكلام فصل بين المضاف والمضاف إليه بحرف الجر"[3].

=

٤/ ١٠٦، و(قنو) في: العين، والصحاح، واللسان، وتاج العروس. اقني حياءك: التزمي الحياء، وارجعي عن اللوم، وأصل الاقتناء: اكتساب المال.

(١) ينظر: تمهيد القواعد: ٣/ ١٤٢٣.

(٢) ينظر: الهمع: ١/ ٥٢٥، وحاشية الصبان على الأشموني: ٢/ ٨.

(٣) الخصائص: ١/ ٣٤٠.

واختار هذا الرأي السيوطي، وعلل ذلك بسلامته من التَّأْوِيل وَالزِّيَادَة والحذف[١].

واعترض على هذا القول بأنه يتكلم بذلك من ليس لغته القصر[٢].

وثالثها: أن أصلها: (لا أبَ لك)، فأشبعت فتحة الباء، فتسبب عنها الألف، فالألف على ذلك حرف إشباع، وليست حرف إعراب، ذكر هذا الوجه أبو البقاء العكبري[٣].

ورابعها: أَنَّ (أبا) اسم مُفْرد غير مُضَاف، عومل مُعَاملَة الْمُضَاف فِي الْإِعْراب، وَ(لك) فِي مَوضِع الصّفة لَه، وَالْخَبَر مَحْذُوف، وهذا مذهب هِشَام وابْن كيسَان[٤]، ووافقهما في ذلك أبو حيان وناظر الجيش[٥].

وخامسها: أن (أبا) من الإباء، والمقصود بهذا التعبير الدعاء على المخاطب بأن لا يأباه الموت، وهذا الوجه هو اختيار ابن مالك، قال:

"والوجه عندي في: (لا أبا لك، ولا أباك)، أن يكون دعاء على المخاطب بأن لا يأباه الموت، وهذا توجيه ليس فيه من التكلف شيء"[٦].

---

(١) ينظر: الهمع: ١/ ٥٢٥.

(٢) ينظر: تمهيد القواعد: ٣/ ١٤٢٣.

(٣) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٤) ينظر: الهمع: ١/ ٥٢٥، وحاشية الصبان: ٢/ ٨.

(٥) ينظر: التذييل والتكميل: ٥/ ٢٥٦، وتمهيد القواعد: ٣/ ١٤١٥.

(٦) شرح التسهيل: ٢/ ٦٤.

وأجيب عنه بأمرين[١]:

الأول: أن العرب حذفت من الكلمة الهمزة، فقالوا: لابَ لك، ولابَ شانيك، ولو كان هذا فعلًا ماضيًا، لم يجز حذف ذلك منه، وإنما جاز كثرة الحذف في (لا أب لك)؛ لكثرة دوره على ألسنتهم.

والثاني: أن (أبا) اسمٌ لا فعلٌ، بدليل جر ما بعده في قولهم: (لابَ شانيكَ)، وقولهم: (لا أباي)، فلو كان فعلًا ماضيًا؛ لقال: (لا أباني) بالنون قبل الياء.

الوجه الرابع: **أن يقال: (لا أباك)**، بإضافة (أبا) إلى الكاف دون لام، والخبر محذوف، وقد يقال: (لا بَاكَ) أيضا من غَيْر هَمْز[٢].

وهذا الوجه شاذ بعيد عن القياس؛ لما فيه من إعمال (لا) في المضاف إلى معرفة، وإضافته محضة، وهي لا تعمل إلا في نكرة.

وحمله بعضهم على تقدير اللام، فجعل اللام منوية بين المضاف والمضاف إليه[٣].

ورده ابن مالك بأنه يستلزم وجود ضمير متصل معمول لعامل غير منطوق به، وهو شيء لا يعلم له نظير، فوجب الإعراض عنه، والتبرؤ منه[٤].

---

(١) ينظر: تمهيد القواعد: ٣/ ١٤٢٥.

(٢) ينظر: المجموع المغيث: ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: المسائل البصريات: ١/ ٥٣٦، وشرح التسهيل: ٢/ ٦٣، والألغاز النحوية للسيوطي: ١٨.

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٢/ ٦٤.

ومما ورد على هذه اللغة قول أبي حية النميري:

أبِالمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أنِّي ☆☆ مُلاقٍ لَا أباكِ تُخَوِّفِينِي(١)

وقول مسكين الدارمي:

فَقَدْ مَاتَ شَمَّاخٌ ومَاتَ مُزَرِّدٌ ☆☆ وأيُّ كَرِيمٍ لَا أبَاكَ يُخَلَّدُ(٢)

وقد اختلفت أقوال أهل اللغة في المراد بهذه العبارة، وذلك على النحو التالي:

القول الأول: أن قولهم: (لا أبا لكَ) يستعمل كناية عن المدح: بِأَن يُرَاد به نفيُ نَظِير الممدوح بِنَفْي أَبِيه. وقيل: معناه: لا كافي لكَ غير

---

(١) البيت من الوافر، ينظر: المقتضب: ٤/ ٣٧٥، والأصول: ١/ ٣٩٠، واللامات للزجاجي: ١٠٣، والخصائص: ١/ ٣٤٦، والبديع في علم العربية: ١/ ٥٧٥، وشرح المفصل: ٢/ ١٠١، وشرح التسهيل: ٢/ ٦٠، ٦٣، ٣/ ٢٢٦، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٥٢٨، والتذييل والتكميل: ٥/ ٢٦٩، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٧٩١، وتمهيد القواعد: ٣/ ١٤١٢، ٧/ ٣١٦٨، والتصريح: ١/ ٦٧٧، والهمع: ١/ ٥٢٥، والخزانة: ٤/ ١٠٠، ١٠٥.

(٢) البيت من الطويل، ينظر: المقتضب: ٤/ ٣٧٥، والأصول: ١/ ٣٩٠، واللامات للزجاجي: ١٠٣، وشرح المفصل: ٢/ ١٠١، وشرح التسهيل: ٢/ ٦٠، ٦٣، والتذييل والتكميل: ٥/ ٢٦٩، وتمهيد القواعد: ٣/ ١٤١٢، والخزانة: ٤/ ١٠٠.

نفسك[١]. ويستعمل كذلك كناية عن الذم: بِأَن يُرَاد أَنه مَجْهُول النّسَب[٢]، ويرجع ذلك إلى مراد المتكلم ومقصده بكلامه، قال الزجاجي:

"وإنما يراد بقولهم: (لا أبا لكَ) أنه لا أبَ لكَ من الآباء الأشراف أو من الآباء المذكورين، فإنما هو كلام مجراه مجرى السب، وربما وضع موضع المدح، كقولك للرئيس الفاضل: (لا أبا لكَ)، إنما تريد: لا أبا لكَ من الآباء الخاملين الناقصين، فإنما هو كلام مختصر يعرف معناه بمقصده"[٣].

القول الثاني: أنها عبارة تفصل بها العرب كلامها، ويراد بها التغليظ على المخاطب، والحث على فعل الشيء، وإليه ذهب بعض النحويين، كالفراء والمبرد والسيوطي[٤]، قال المبرد:

"هي كلمة فِيهَا جفَاء وغلظة، وَالْعرب تستعملها عِنْد الْحَث على أَخذ الحقّ والإغراء، وربّما استعملتها الجفاة من الْأَعْرَاب عِنْد الْمَسْأَلَة والطلب، فَيَقُول الْقَائِل للأمير والخليفة: انْظُر فِي أَمر رعيّتك، لَا أَبَا لَك"[٥].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (أبا)، ومجمع بحار الأنوار: ١/ ١٠، واللسان: (أبو).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: (أبا)، ومجمع بحار الأنوار: ١/ ١٠، والخزانة: ٢/ ١٨٤.

(٣) اللامات للزجاجي: ١٠٥.

(٤) ينظر: الكامل للمبرد: ٣/ ١٥٩، وتهذيب اللغة: (أبا)، واللسان: (أبو)، وشرح شواهد المغني: ٢/ ٨٥٧.

(٥) الكامل: ٣/ ١٥٩.

ومن شواهد ذلك ما روي عن سليمان بن عبد الْملك أنه سمع رجلا من الْأَعْرَاب فِي سنة مُجْدِبَة يَقُول:

رَبَّ الْعِبَادِ مَا لَنَا وَمَا لَكَا ☆☆ قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَا

أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لَكَا

فَقَالَ: أشهد أنّه لَا أَبَا لَهُ، وَلَا ولدَ، وَلَا صَاحِبَةَ، وَأشْهد أَنّ الْخلقَ جَمِيعًا عبادُه(١).

القول الثالث: أن (لا أبا لكَ) يُذْكَرُ بِمَعْنَى: جِدَّ فِي أَمْرِك وشَمِّر؛ لأَنَّ مَن لَهُ أَبٌ اتَّكَلَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ شأْنِه، ومن لا أَبَ له يَتولَّى الأُمورَ بنَفْسِه، فيَحْتاج إلى زيادةِ عنايةٍ فيه ونَصَبٍ، فمعنى (لا أَبَا لَكَ) التَّحْضِيضُ والتَّحريضُ(٢).

القول الرابع: أن (لا أبا لكَ) يذكر فِي معرض التَّعَجُّب دفعا للعين، كَقَوْلِهِم: لله دَرُّكَ(٣).

* * *

(١) ينظر: الكامل: ٣/ ١٥٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: (أبو) ١/ ١٩، واللسان: (أبو)، والتذييل والتكميل: ٥/ ٢٥٦، والخزانة: ٤/ ١٠٣، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ١١/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: المجموع المغيث: ١/ ٢٤.

(٣) ينظر: المجموع المغيث: ١/ ٢٤، والخزانة: ٢/ ١٨٤.

٣- الوصف بـ(كُلّ، وجِدّ، وحَقّ)

مما يستعمل في المدح عند العرب الوصف بـــ(كُلّ، وجِدّ، وحَقّ) تابعة لاسم جنس، مضافة إلى مثل متبوعها لفظًا ومعنًى، نحو: أنتَ الرجلُ كُلُّ الرجلِ، وجِدُّ الرجلِ، وحقُّ الرجلِ، فجاءوا بهذه الألفاظ في صفات المدح، والمراد بها المبالغة فيما تضمنه لفظ الموصوف بها من صفات، فإذا قالوا: الرجلُ كُلُّ الرجلِ، فمعناه: الكامل في الرجال، يقول ابن السراج:

"فأما قولهم: (مررتُ برجلٍ كلِّ رجلٍ) فإنما هذا على المبالغة في المدح، كأنك قلت: مررتُ برجلٍ كاملٍ"(١).

وإذا قالوا: هو العالمُ جِدُّ العالمِ، وحقُّ العالمِ، فمعناه: البالغ الكامل في العلم.

و(الجد) و(الحق) هنا بمعنى واحد، يقال: جادَّه في الأمرِ، أي: حاقَّه(٢).

وذكر الرضي أن معنى (كل الرجل): أنه اجتمع فيه من خلال الخير ما تفرق في جميع الرجال، ومعنى (جد الرجل)، أي: كأنّ كُلَّ من سواه هزلٌ، و(حق الرجل)، أي: كُلُّ من سواه باطلٌ(٣).

قال الشاعر:

هُوَ الفَتَى كُلُّ الفَتَى فَاعْلَمُوا ☆☆ لا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُول(٤)

---

(١) الأصول: ٢/ ٢٣.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٣٥.

(٣) ينظر: شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٩٢.

(٤) البيت من السريع، وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة: (صلل)، والمحتسب: ٢/ ١٧٤، والأفعال للمعافري: ٣/ ٣٧٦، وشرح المفصل: ٢/ ٢٣٥، والمعجـــم =

أي: هو الكامل في الفتيان. قال سيبويه:

"ومن الصفة: أنت الرجل كلُّ الرجل، ومررت بالرجل كلِّ الرجل. فإن قلت: هذا عبدُ الله كلُّ الرجل، أو هذا أخوك كلُّ الرجل، فليس في الحُسن كالألف واللام؛

لأنك إنما أردت بهذا الكلام هذا الرجل المبالغ في الكمال، ولم ترد أن تجعل كل الرجل شيئا تعرف به ما قبله وتبينه للمخاطب ..."(١).

ولا فرق بين المعرفة والنكرة في صفات المدح، تقول: مررتُ بالرجلِ كُلِّ الرجلِ، ومررتُ برجلٍ كُلِّ رجلٍ، وهذا العالمُ حقُّ العالمِ، وهذا عالمٌ حقُّ عالمٍ، كما لا فرق بين أن تقول: مررتُ بالعالمِ الكاملِ في علمِه، ومررتُ برجلٍ كاملٍ في علمِه.

ويستعمل هذا في الكلام على وجهين:

أحدهما: وهو الأقوى والكثير في الاستعمال، أن تكون (كُلّ، وجِدّ، وحَقّ) تابعة للجنس، مضافة إلى مثل متبوعها لفظًا ومعنًى، نحو: أنتَ الرجلُ كُلُّ الرجلِ، وجِدُّ الرجلِ، وحقُّ الرجلِ.

والآخر: أن تكون تابعة للجنس مضافة إلى مثل متبوعها معنًى، أو تابعة للعلم مضافة للجنس، نحو: أنت امرؤٌ كُلُّ فتًى، وجِدُّ فتًى، وحقُّ

=

المفصل في شواهد اللغة العربية: ٦/ ٣٥. الصلول: من صل اللحم يصل صلولًا، إذا أنتن.

(١) الكتاب: ٢/ ١٢، ١٣.

فتًى، وأنت محمدٌ كُلُّ الرجلِ، وجدُّ الرجلِ، وحقُّ الرجلِ، وهذا الوجه ضعيف في الاستعمال. يقول ابن يعيش:

"ولا يحسن (هذا عبدُ الله كُلُّ الرجلِ)؛ لأنه ليس في لفظ (عبد الله) معنى يكون

(كل الرجل) مبالغة فيه، وهو مع قبحه جائز؛ لأنه لو لم يذكر (عبد الله)، وقال: (هذا كُلُّ الرجلِ)، جاز، ودل على معنى المبالغة والكمال، ولأن (عبد الله) رجل، فكأنك قلت: (هذا الرجلُ المدعوُّ عبدَ الله كُلُّ الرجلِ)"(١).

ولم يجز الرضي أن تكون هذه الألفاظ تابعة لغير اسم الجنس، فلا يوصف بها العلم، فيقول الرضي في حديثه عما يقع نعتًا من الجوامد مشيرًا إلى هذين الوجهين:

"فمن القياسي: (كُلّ، وجِدّ، وحَقّ) تابعة للجنس، مضافة إلى مثل متبوعها لفظًا ومعنًى، نحو: أنتَ الرجلُ كلُّ الرجلِ، وجدُّ الرجلِ، وحقُّ الرجلِ، هذا هو الأغلب الأحسن، ويجوز على ضعف: أنتَ المرءُ كلُّ الرجلِ، وجدُّ الرجلِ، وحقُّ الرجلِ، ولا تتبع غير الجنس، فلا يقال: أنتَ زيدٌ كلُّ الرجلِ؛ وذلك لأن الوصف بهذه الألفاظ الثلاثة كالتأكيد اللفظي، فلهذا لم يحسن: أنتَ المرءُ كلُّ الرجلِ، وليس في لفظ (زيد) معنى الرجولية حتى يؤكد بـــ(كل الرجل)"(٢).

(١) شرح المفصل: ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) شرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٩٢.

وكما يستعمل ذلك في المدح، يستعمل في الذم، ومن ذلك قولهم: هو اللئيمُ جدُّ اللئيمِ، أو حقُّ اللئيمِ، وأنتَ لئيمٌ جدُّ لئيمٍ، وحقُّ لئيمٍ، فيكون معناه المبالغة في اللؤم.

يقول ناظر الجيش:

"والعرب قد تجعل المفرد بمنزلة الجنس كلّه؛ مبالغة في المدح، فمن كلامهم: أكلتُ شاةً كُلَّ شاةٍ، فجعلوا الشاة المأكولة هي جميع الشياه مبالغة، وهكذا يكون نظيره في الذمّ"(١).

* * *

٤- قطع التابع عن متبوعه

الأصل في التابع أن يشارك متبوعه في سائر أحواله من الإعراب، نحو: جاءَ زيدٌ الكريمُ، أو نفسُه، أو أخوك، ورأيتُ زيدًا الكريمَ، أو نفسَه، أو أخاك، ومررت بزيدٍ الكريمِ، أو نفسِه، أو أخيك. والأصل فيه أن يذكر لبيان متبوعه أو تخصيصه أو تأكيده، وقد يأتي لغير ذلك من المعاني.

وقد يقطع التابع عن متبوعه، فلا يتبعه في الإعراب؛ لغرض من الأغراض، فيقطع النعت عن منعوته إذا أريد به المدح، نحو قوله

(١) تمهيد القواعد: ٥/ ٢٥٤٧.

تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1]، أو الذم، نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]، أو غيرهما من المعاني التي يقصدها المتكلم، ويدل عليها سياق الكلام. قال الفارسيُّ:

"إذا ذُكرتْ صفاتٌ في معرض المدحِ أو الذمِّ، فالأحسنُ أن يخالف في إعرابها؛ لأنَّ المقامَ يقتضي الإطنابَ، فإذا خُولِف في الإعراب كان المقصودُ أكملَ؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوعُ وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعًا واحدًا"[3].

والقطع يكون على أحد وجهين:

أحدهما: أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وجوبًا.

والآخر: أن ينصب على أنه مفعول به لفعل محذوف وجوبًا. وقد أشار إلى ذلك سيبويه في (باب ما ينتصب على التعظيم والمدح)، فقال:

"وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، وإن شئت قطعتَه فابتدأتَه، وذلك قولك: الحمدُ لله الحميدُ هو، والحمدُ لله أهلَ الحمد، والمُلكُ لله أهلَ المُلك. ولو ابتدأته فرفعتَه كان حسنا... وسمعنا بعض

(١) سورة الفاتحة، الآية/ ١. قرأ الجمهور بالرفع في (ربُّ)، وقرأ زيد بن علي وأبو زيد والكسائي وأبو العالية وعيسى بن عمر وابن السميفع بالنصب. ينظر: معجم القراءات: ١/ ٦.

(٢) سورة النحل، من الآية/ ٩٨.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشيّ: ٣/ ٢٧، والإتقان للسيوطي: ٣/ ٢٣٦.

العرب يقول: (الحمدُ لله ربَّ العالمين)، فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية"(١).

والغرض من القطع هو التنبيه على إنشاء المدح أو الذم، وقد أشار إلى ذلك السهيلي، فقال:

"وفائدةُ القطع من الأول أنهم أرادوا تجديد مدح أو ذم غير المذكور في أول الكلام؛ لأن تجدد لفظ غير الأول دليلٌ على تجدُّد معنى، وكلما كثرت المعاني وتجدَّد المدحُ كان أبلغ"(٢).

ويقول ابن مالك:

"فهذه ونحوها من النعوت المقطوعة للاستغناء عنها بحصول التعيين بدونها، لك فيها النصب بفعل ملتزم إضماره، والرفع بمقتضى الخبرية لمبتدأ لا يجوز إظهاره؛ وذلك أنهم قصدوا إنشاء المدح، فجعلوا إضمار الناصب أمارة على ذلك، كما فعلوا في النداء، إذ لو أظهر الناصب لخفي معنى الإنشاء، وتُوُهِّم كونه خبرًا مستأنف المعنى، فلما التزم الإضمار في النصب التزم أيضا في الرفع؛ ليجرى الوجهان على سنن واحد"(٣).

---

(١) الكتاب: ٢/ ٦٢، ٦٣.

(٢) نتائج الفكر للسهيليّ: ١٨٦.

(٣) شرح التسهيل: ١/ ٢٨٧، وينظر: التذييل والتكميل: ٣/ ٣١٤، والتصريح: ١/ ٢٢١، ٢/ ١٢٦، وحاشية الصبان على الأشموني: ١/ ٣٢٤.

وقد استحسن ابن جني القطع في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من ناحية القياس، فقال:

"وما أحسنه ههنا؛ وذلك أن الله تعالى إذا وُصِف، فليس الغرض في ذلك تعريفه بما يتبعه من صفته؛ لأن هذا الاسم لا يعترِض شكّ فيه، فيحتاجَ إلى وصفه لتخليصه؛ لأنه الاسم الذي لا يشارَك فيه على وجه، وبقيَّة أسمائه- عزّ وعلا- كالأوصاف التابعة لهذا الاسم، وإذا لم يَعترض شكّ فيه، لم تجئ صفته لتخليصه، بل للثناء على الله تعالى، وإذا كان ثناء فالعدول عن إعراب الأوّل أولى به؛ وذلك أن إتباعه إعرابه جارٍ في اللفظ مَجرى ما يتبع للتخليص والتخصيص، فإذا هو عُدِل به عن إعرابه، عُلِم أنه للمدح أو الذمّ في غير هذا، عزّ الله وتعالى، فلم يبق فيه هنا إلا المدح"(١).

ومما ورد بقطع النعت للمدح قول الخرنق بنت هفان:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ☆☆ سَمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ☆☆ والطَّيِّبُونَ مَعاقِدَ الأُزْرِ(٢)

---

(١) الخصائص: ١/ ٣٩٩.

(٢) البيتان من الكامل، ينظر: الكتاب: ١/ ٢٠٢، ٢/ ٥٧، ٦٤، والأصول في النحو: ٢/ ٤٠، والإنصاف: ٢/ ٣٨٣، ٦١٢، ونتائج الفكر: ١٩٠، والبديع في علم العربية: ١/ ٣٢٣، وشرح التسهيل: ٣/ ٩٨، ٣١٩، وشرح الكافية الشافية: ٢/ ١٠٦٣، واللمحة في شرح الملحة: ٢/ ٧٣٢، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ٣٢٣، والتذييل والتكميل: ١١/ ٣٢، وأوضح المسالك: ٢/ =

حيث روي بنصب (النازلين، والطيبين) على الْمَدْح، ويروي بَعضهم (والطيبون)، ويُنْشَد على ثَلَاثَة أوجه.

وَقَالَ الأخطل:

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا ☆☆ أَبْدَى النَّوَاجِذَ يَوْمٌ بَاسِلٌ ذَكَرُ

الْخَائِضَ الْغَمْرَ وَالْمَيْمُونَ طَائِرُهُ ☆☆ خَلِيفَةَ اللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ[1]

فنصب (الخائض، والميمون، وَخَلِيفَة الله) على الْمَدْح والتعظيم.

وكما ورد قطع النعت عن المنعوت في الإعراب للمدح، ورد كذلك في العطف بالواو، فقد ذكر بعض النحاة[2] أَن النصب في قوله تعالى

=

٢٨٣، وتمهيد القواعد: ٦/ ٢٧٩٨، ٧/ ٣٣٤٦، والتصريح: ٢/ ١٢٣، ٣٠٢، والهمع: ٣/ ١٥٤، وشرح الأشموني: ٢/ ٣٢٦، ٣/ ١١٢، والخزانة: ٥/ ٤١. يبعدن: من بعد يبعَد، أي: لا يهلكن.

(١) البيتان من البسيط، ينظر: الديوان: ، والجمل في النحو للخليل: ٨٩، والكتاب: ٢/ ٦٢، وشرح أبيات سيبويه: ١/ ٣٢٧، والتذييل والتكميل: ٣/ ٣١٤، و(بسل) في المحكم، وأساس البلاغة، واللسان، وتاج العروس. النواجذ: أقصى الأضراس، ويوم باسل: كريه شديد.

(٢) ينظر: الجمل في النحو: ٨٨، والكتاب: ٢/ ٦٣، وشرح المقدمة المحسبة: ٢/ ٤١٨، والبديع في علم العربية: ١/ ٣٢٣، وإملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢٠٢، والهمع: ٣/ ١٥٣.

فِي سُورَة النِّسَاء: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[2] للمدح. جاء في معالم التنزيل:

"وَقَالَ الْخَلِيلُ: نُصِبَ عَلَى الْمَدْحِ، وَالْعَرَبُ تَنْصِبُ الْكَلَامَ عَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِفْرَادَ الْمَمْدُوحِ وَالْمَذْمُومِ، فَلَا يُتْبِعُونَهُ أَوَّلَ الْكَلَامِ، وَيَنْصِبُونَهُ، فَالْمَدْحُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وَالذَّمُّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾[3]"[4].

وورد كذلك قطع البدل عن المبدل منه للمدح، ومن ذلك قول الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان:

لَقَدْ حَمَلَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ☆☆ حَرْبَهَا عَلَى مُسْتَقِلٍّ بِالنَّوَائِبِ وَالْحَرْبِ

أَخَاهَا إِذَا كَانَتْ عِضَاضًا سِمَالَهَا ☆☆ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذَلُولٍ وَمِنْ صَعْبِ[5]

---

(١) سورة النساء، من الآية/ ١٦٢.

(٢) سورة البقرة، من الآية/ ١٧٧.

(٣) سورة الأحزاب، من الآية/ ٦١.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ١٨٨.

(٥) البيتان من الطويل، ينظر: الديوان: ٢٥، الجمل للخليل: ٩٠، والكتاب: ٢/ ٦٥، وشرح أبيات سيبويه: ١/ ٣٥٣، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٩٠٨، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٣١٦. النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المهمات والحوادث.

فنصب (أخاها) على الْمَدْح، ولَوْلَا ذَلِك لخفضه على الْبَدَل من (مُسْتَقل). قال سيبويه:

"زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا مَن تخاطب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناء وتعظيمًا"(١).

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢): "(الَّذِي لَهُ) رفع على الإبدال من (الذي نزل)، أو رفع على المدح، أو نصب عليه"(٣).

وغير ذلك كثير في كلام العرب؛ وذلك لأن العرب تنصب على المدح عند تكرر العطف أو الوصف، وقد يستأنف فيرفع(٤).

والفرق بين النصب في هذا الباب وباب الاختصاص هو أن المنصوب على القطع يتضمن لفظه معنى المدح أو الذم، أما المنصوب على الاختصاص فلا يكون كذلك، يقول الزركشي:

"قَدْ يَلْتَبِسُ الْمَنْصُوبُ عَلَى الْمَدْحِ بِالِاخْتِصَاصِ، وَقَدْ فَرَّقَ سِيبَوَيْهِ بَيْنَهُمَا فِيمَا بَيَّنَ. وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمَنْصُوبَ عَلَى الْمَدْحِ أَنْ يَكُونَ الْمُنْتَصِبُ لَفْظًا يَتَضَمَّنُ نَفْسُهُ مَدْحًا نَحْوَ: (هَذَا زَيدٌ عَاقِلُ قَوْمِهِ)، وَفِي الِاخْتِصَاصِ

(١) الكتاب: ٢/ ٦٥.
(٢) سورة الفرقان، من الآية/ ٢.
(٣) الكشاف: ٣/ ٢٦٢، وينظر: البرهان للزركشي: ٢/ ٤٤٨.
(٤) ينظر: الإنصاف: ٢/ ٣٨٣.

لَا يَقْتَضِي اللفظ ذلك، كقوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[1] **، فيمن نصب(أهل)"**[2].

وكما قطع النعت عن المنعوت للمدح، قطع كذلك للذم، ومما ورد من ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾[3]**، بالنصب في (حمالة)، وقوله تعالى:** ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ **مَنْصُوبَة على الذَّم كَمَا ذكر أهل النَّحْو**[4]**، وقول عروة بن الورد العبسي من الصعاليك:**

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي ☆☆ عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ[5]

---

(١) سورة هود، من الآية/ ٧٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤٥١.

(٣) سورة المسد، الآية/ ٤. قرأ بنصب (حمالة) الحسن وزيد بن علي والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن محيصن وعيسى بن عمر وعاصم في رواية عنه وابن أبي إسحاق، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر: معجم القراءات: ١٠/ ٦٣١.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢/ ٧٠، ١٥٠، والبديع في علم العربية: ١/ ١٤٤، وشرح المفصل: ١/ ٣٧٣، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٤٣٣، وأوضح المسالك: ٣/ ٢٨٦، ومغني اللبيب: ٨٢٨، والتصريح: ٢/ ١٢٦، والهمع: ٣/ ١٥٣، شرح الأشموني: ٢/ ٣٢٨.

(٥) البيت من الوافر، ينظر: الديوان: ٦٣، والكتاب: ٢/ ٧٠، والأفعال للمعافري: ٣/ ١٦٦، والبديع في علم العربية: ١/ ١٤٥. تكنفوني: أحاطوا بي من كل جانب، وعداة: جمع عدوّ.

فنصب (عداة الله) على الذَّم، وقول النابغة الذبياني:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ☆☆ لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلًا عَلَيَّ الْأَقَارِعُ

أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا ☆☆ وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ[1]

فنصب (وُجُوهَ قرودٍ) على الذَّم.

وقول رجل من بني أسد:

إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا ☆☆ خُوَيْرِبَيْنِ يَنْفُثَانِ الْهَامَا[2]

فنصب (خويربين) على الشتم والذم، وغير ذلك كثير في كلام العرب.

* * *

(١) البيتان من الطويل، ينظر: الديوان: ٣٤، ٣٥، والجمل للخليل: ٩١، والكتاب: ٢/ ٧١، وشرح أبيات سيبويه: ١/ ١٣٦، ٢٩٩، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٤٣٤، والخزانة: ٢/ ٤٤٧. العَمْر: العُمُر، وهو البقاء، بطلًا: باطلًا، تجادع: تُشاتِم.

(٢) البيت من الرجز، ينظر: الكتاب: ٢/ ٤٩، والمقتضب: ٤/ ٣١٥، ومغني اللبيب: ٨٩، وشرح شواهد المغني: ١/ ٢٠٠، وشرح الأشموني: ٢/ ٣٨١. أكتل ورزام: اسما لصّين من بني تميم، خويرب: تصغير خارب، وهو اللصّ، ينفقان الهاما: يكسران الرؤوس حتى يظهر الدماغ .

٥- (مَفْعَلان) في النداء

مما يستعمل في المدح والذم عند العرب بناء (مَفْعَلان) في النداء خاصة، فيقولون في المدح: (يا مَكْرَمانُ) للكريم الواسع الخلق، حكاه سيبويه والأخفش[١]، و(يا مطيبانُ) للطيِّب. ويقولون في الذم: (يا مَخْبَثانُ) للخبيث، و(يا مَلْأَمانُ) للئيم الدنيء الأصل، الشحيح النفس. قال المرادي:

"الأكثر في بناء (مَفْعَلان)- نحو: مَلْأَمَان- أن يأتي في الذم، وقد جاء في المدح: (يا مَكْرَمَان)، حكاه سيبويه والأخفش، و(يا مَطْيَبَان)"[٢].

وذهب ابن السيد البطليوسي إلى أن (مفعلان) مختص بالذم، ولا يستعمل في المدح، وخطأ من نقل (مكرمان)، وقال: صوابه: (مكذبان)، فقال:

"وهذه الأسماء التي أوردها في هذا الباب كلها صفات ذم، ليس فيها شيء من صفات المدح"[٣].

والصواب أنه يستعمل في المدح، كما يستعمل في الذم؛ لثبات النقل عن الثقات في المدح: (مَكْرَمان) و(مَطْيَبان).

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٦٣، وارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٢٤، وتوضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٥، والتصريح: ١/ ٣٢، وشرح الأشموني: ٣/ ٤٥.

(٢) توضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٥.

(٣) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: ٢٤٧.

وقد اختلف النحاة في قياسية (مَفْعَلان) إلى فريقين[1]:

الفريق الأول: يرى أنه لا يقاس عليه، ويقتصر فيه على ما سمع؛ إذ لم يستعمل منه إلا ألفاظ معدودة. وهذا ما عليه أكثر النحاة، قال السيوطي في حديثه عن

الأسماء الملازمة للنداء:

"وَمِنْهَا (مَفْعَلان) فِي الْمَدْح والذم، ذكر الْأَكْثَر أَنه مسموع، لَا يُقَاس على مَا جَاءَ مِنْهُ، وَالَّذِي سمع مِنْهُ سِتَّة ألفاظ: مَكْرَمان- للعزيز المكرم- ومَلْأَمان، ومَخْبَثان، ومَلْكَعان، ومَطْيَبان، ومَكْذَبان"[2].

الفريق الثاني: يرى جواز القياس على ما سمع من هذا الباب، فيجوز أن يقال: يا مَكذَبانُ، ويا مَخبَثانُ، في نداء الكذاب والخبيث، وتلحقه التاء مع المؤنث، فيقال: يا مَلأَمانةُ، ويا مَطْيَبانةُ، وممن ذهب إلى ذلك ابن عصفور[3].

والأولى بالقبول هو ما عليه جمهور النحاة، وهو أنه يقتصر في هذا على ما سمع عن العرب، ولا يقاس عليه، ومما يقوي هذا ما حكاه

---

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١/ ٤٣٠، وارتشاف الضرب: ٥/ ٢٢٢٤، وتوضيح المقاصد: ٣/ ١١٠٦، والمقاصد الشافية: ٥/ ٣٥٦، وتمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٥.

(٢) الهمع: ٢/ ٦١.

(٣) ينظر: شرح الجمل: ٢/ ١٠٥.

ناظر الجيش عن بعض النحاة، وهو أن (مفعلان) لم يجئ منه إلا: مَكْرَمان، ومَلْأَمان، ومَخْبَثان، ومَكْذَبان ومَلْكَعان، ومَطْيَبان[١].

وفي استعمال (مَفْعَلان) في غير النداء خلاف بين اللغويين والنحاة، وذلك على قولين:

أحدهما: أنه يستعمل في النداء كثيرًا، ويجوز استعماله في غير النداء، فيستعمل تابعًا لما قبله في الإعراب، وقد ذهب إلى ذلك الأخفش فيما حكاه عنه أبو حيان من قوله:

"فأما (مَفْعَلان) نحو: يا مكرمان، وما بني على هذا البناء إذا جعلته للمرأة لحقت فيه الهاء، نحو: مَكْرَمانة، ومَخْبَثانة، وهذا يجعله معرفة، تقول: هذا مَكْرَمانُ مُقبلًا، هذه مَكْرَمانةُ مُقبلةٌ"[٢].

ووافقه ابن مالك في شرح التسهيل[٣]، ونقله السيوطي عن بعض النحاة[٤]، ويُستدَل لذلك القول بما حكاه أَبُو حَاتِم من قولهم: هَذَا زيدٌ مَلْأَمانُ، وهذه هندٌ مَلْأَمانةُ[٥]، وما حكاه ابن سيده من قولهم: رجل مَكْرَمان، ومَلْأَمان، وامرأة مَلْأمانة[٦]، وما حكاه السخاوي وأبو حيان

(١) ينظر: تمهيد القواعد: ٧/ ٣٦١٥.
(٢) ينظر: الارتشاف: ٥/ ٢٢٢٥.
(٣) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤١٩.
(٤) ينظر: الهمع: ٢/ ٦١.
(٥) ينظر: الارتشاف: ٥/ ٢٢٢٥، والهمع: ٢/ ٦١،
(٦) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤٢٠، والارتشاف: ٥/ ٢٢٢٥، والهمع: ٢/ ٦١،

عن الجرمي من قولهم: هذا مَكْرَمانُ مقبلًا، ومَلْأَمانُ ذاهبًا، ومَلْكَعانُ قاعدًا[1].

والآخر: أن ذلك لا يستعمل إلّا في النداء لقصد المدح أو الذم، فما ورد من الكلمات المذكورة على هذا الوزن مختص بالنداء، وهذا مذهب أكثر النحاة، قال ابن مالك:

"ومما خصوه بالنداء- فلا يستعمل في غيره- قولهم: يا مَلْأَمُ، ويا لُؤْمَانُ، و(يا مَلْأَمَانُ) بمعنى: يا عظيمَ اللؤمِ، و(يا مَكرَمانُ) بمعنى: يا عظيمَ الكرمِ، و(يا نَوْمَانُ) بمعنى: يا كثيرَ النومِ. وهذه صفات مقصورة على السمع بإجماع"[2].

وخرجوا ما حكاه البعض عن العرب في غير النداء على أنه معمول لقول محذوف مع حرف النداء، فقالوا: التَّقْدِير في قولهم: (رجلٌ مَكْرَمانٌ): رجل مقول فِيهِ أَو مدعُو يَا مَكْرَمانُ؛ إذ القَوْل يحذف بكثرة، وَحذف حرف النداء مُنَاسِب لحذف القَوْل. قال أبو حيان:

"وأقول: ما حكاه أبو حاتم وابن سيده ليس بمشهور، وهو مخالف لما نقل الأئمة؛ فيحتاج إلى تأويل، بأن يكون منادى مضمرًا فيه القول، والتقدير: هذا زيدٌ مقولٌ فيه، أو مدعوٌ: يا مَلْأَمانُ، وكذا في المؤنث،

(١) ينظر: سفر السعادة: ١/ ٤٦٣، والارتشاف: ٥/ ٢٢٢٥.

(٢) شرح الكافية الشافية: ٣/ ١٣٣٠، وينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٤١٩، ٤٢٠.

وكذا رجل مقول فيه أو مدعو: يا مَلْأَمانُ، حذف القول، وحذف الحرف"[1].

والأولى أن يقال: إن الغالب والكثير في هذه الألفاظ أن تستعمل في النداء، ويقتصر فها على ما سمع عن العرب، فلا يقاس عليها، وقد تستعمل في غير النداء قليلًا؛ وذلك لما حكاه الثقات من أهل اللغة عن العرب من استعمال بعض هذه الألفاظ في غير النداء، ولأن تقدير القول محذوفًا مع حرف النداء فيما حكي في غير النداء فيه تكلف، والأصل عدم الحذف.

* * *

٦- زيادة هاء التأنيث

تُزَادُ تاء التأنيث فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لمعان متعددة، فقد تزاد لِلْفَرْق بَيْنَ المذكر والمؤنث، نَحْوُ: ضَارِبٍ وَضَارِبَةٍ، أو لِلْفَرْق بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، نَحْوُ: بَقَرَةٍ وَبَقَرٍ، وقد تزاد لِلْمُبَالَغَةِ: في المدح، نَحْوُ: عَلَّامَةٍ، وَنَسَّابَةٍ، أَوْ الذم، نَحْوَ: (هِلْبَاجَةٍ) للأحمق، وَ(بَقَاقَةٍ) للكثير الكلام في غير فائدة.

وقد اختلف اللغويون والنحاة في علة زيادة الهاء في نحو: (**راوِيَة**)، **و**(**فَقاقة**)، **وذلك على ثلاثة أقوال**:

القول الأول: يرى البصريون وجمهور النحاة أن الهاء تزاد للمبالغة في الوصف التي تزاد فيه، يقول ابن جني:

---

(١) الارتشاف: ٥/ ٢٢٢٥.

"وذلك أن الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه, وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية, فجعل تأنيث الصفة أمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة, وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكرًا أم مؤنثًا"(١).

القول الثاني: أن الهاء للتضمين، فتزاد في المدح للتشبيه بالداهية، وفي الذم للتشبيه بالبهيمة، فكما أن في آخر الداهية والبهيمة هاء، كذلك أتوا بها في وصف الإنسان المذكر الممدوح والمذموم تشبيهًا بهما، فإذا مدحوه وبالغوا في ذلك شبهوه بالداهية، وأرادوا أن أمره وفعله منكر زائد على غيره كالداهية، وكذلك إذا ذموه وبالغوا في ذمه شبهوه بالبهيمة التي لا تنطق بشيء يفهم، ولا تفرق بين الفعل القبيح والحسن.

وإلى ذلك ذهب الفراء، وعزي إلى الكوفيين(٢). قال الفراء:

"لأن العرب قد تدخل الهاء في المذكر على وجهين: أما أحدهما فالمدح، والآخر ذم، فيوجهون المدح إلى الداهية، وتكون الهاء التي دخلت على المذكر يراد بها المدح والمبالغة في نوعه الذي وصف به، فيقال: إنه لمنكرة من المناكير، وإنه لراوِية وعلّامة، فهذا مذهب

(١) الخصائص: ٢/ ٢٠٣، وينظر: معجم الفروق اللغوية: ٣٦٩، وعلل النحو للوراق: ٥٦٧، وإسفار الفصيح: ٢٠٣، والتصريح: ٢/ ٤٩٢، و(عزب) في تهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس.

(٢) ينظر: إسفار الفصيح: ٢٠٢.

الداهية والمدح. وأما الذم فقولهم: إنه لجَخَابَة هِلْباجة فقَاقة، فيما لا أحصيه، وكأنه يذهب إلى البهيمة"(١).

ورَدَّ هذا الرأي ابنُ درستويه محتجًّا بأن (الداهية) لا يختص بالمدح، بل يستعمل في المدح والذم، وفي المحبوب والمكروه(٢).

القول الثالث: يرى بعض النحاة أن الهاء دخلت على الصفة لتأنيث الصيغة، وهو قول علي بن سليمان. قال أبو جعفر:

"قال علي بن سليمان: وبقي عليه أن يأتي بالعلة في المجيء بالهاء، والقول عندي أنه جيء بالهاء لتأنيث الصيغة"(٣).

* * *

(١) المذكر والمؤنث للفراء: ٦٠.

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٣٦٩.

(٣) عمدة الكتاب: ١/ ١١١.

المبحث الرابع

ما يحتمل المدح والذم

١- هو بيضة البلد

مما يحتمل المدح والذم عند العرب قولهم: (فلانٌ بَيْضَةُ البلدِ)، ويكون معناه في المدح: الرجل الأوحد الذي يلجأ إليه الناس في المهمات، ويُقْبَل قولُه، وهذا كناية عن الرفعة وعلو المنزلة. ومعناه في الذم: الرجل المنفرد الذي لا يناصره أحد، شبهوه بالبيضة التي يتركها الطائر؛ لعدم الفائدة المرجوة منها، فهذا كناية عن الضعة والمذلة والقلة(١).

ومما جاء في المدح قول امرأة ترثي عمرو بن عبد ودّ:

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ ☆☆ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ ☆☆ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ(٢)

---

(١) ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٧٧، ٧٨، والإبانة في اللغة: ٢/ ٢٤٥.

(٢) البيتان من البسيط، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ١٤، ٣٧٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٧٠، وغريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٩٧، ومجمع الأمثال: ١/ ٩٧، و(بيض) في: المحكم، واللسان، وتاج العروس، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٢/ ٤٢٨.

وقول الشاعر:

ومما جاء في الذم قول امرأة في رثاء بنيها:

لَهْفِي عَلَيْهِمْ لَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَهُمُ ☆☆ كَثِيرَةَ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ وَالْكَمَدِ

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ مَنَايَاهُمْ بِمَغْبَطَةٍ ☆☆ وَصِرْتُ مُفْرَدَةً كَبَيْضَةِ الْبَلَدِ(١)

وقال الراعي النميري يهجو عدي بن الرقاع:

تَأَبَى قُضَاعَةُ أَنْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا ☆☆ وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ(٢)

قال أبو بكر بن الأنباري:

"هذا حرف من الأضداد: يكون مدحاً، ويكون ذماً. فإذا مدح الرجل، فقيل: هو

بيضةُ البلد، أريد به: واحِد البلد الذي يُجتمع إليه، ويُقبل قوله ... فإذا ذمَّ الرجل، فقيل: هو بيضةُ البلد، أرادوا: هو منفردٌ لا ناصرَ له، بمنزلة

---

(١) البيتان من البسيط، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ١٥، وغريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٩٧، و(بيض) في اللسان، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٢/ ٤٢٨.

(٢) البيت من البسيط، ينظر: الديوان: ٢٠٣، والجمل للخليل: ٢٢٧، والزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ١٥، والخصائص: ١/ ٧٥، ٢/ ٣٤٣، ومجمع الأمثال: ١/ ٢٨٥، وضرائر الشعر لابن عصفور: ٨٩، و(بيض) في: المحكم لابن سيدة، واللسان، وتاج العروس، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: ٢/ ٤٢٨.

البيضة التي يقوم عنها الظليمُ، ويتركها منفردةً، لا خيرَ فيها ولا منفعةَ"(١).

* * *

٢- فُلَانٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآن

مما يستعمل في المدح والذم عند العرب قولهم: (فُلانٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ)، فهو مما يحتمل المدح والذم، فالمَعْنَى في المدح: أَنَّهُ لَا يَنام اللَّيلَ عَنِ القُرآن، ولَكن يقوم متَهَجِّدًا بِهِ، فهُوَ يُداوِم على قِراءته ويُحافِظُ عَلَيْهَا. والمعنى في الذَّمّ: لَا يَحْفَظ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، وَلَا يُديمُ قراءتَه، فَإِذَا نامَ لَمْ يَتَوسَّدْ مَعَهُ الْقُرْآنَ، والمرادُ بِالتَّوَسُّدِ النَّوْمَ. يقول ابن الأنباري:

"يقال: قد توسَّد فلان القرآن؛ إذا نام عليه، وجعله كالوِسادة له، فلم يُكثِر تلاوتَه، ولم يَقُمْ بحقِّه. ويقال: قد توسّد القرآن؛ إذا أَكثَر تلاوتَه، وقام به في الليل، فصار كالوِسادة، وبدلاً منها، وكالشعار والدِّثار"(٢).

وقد ورد في الحديث أنّ شُرَيح بن الحَضْرَمي ذُكِرَ عِنْد رسولِ الله- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- فَقَالَ: "ذَاك رجلٌ لَا يتوسّد الْقُرْآن"(٣).

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ١٤، ١٥.

(٢) الأضداد لابن الأنباري: ١٨٧.

(٣) الحديث ورد في مسند الإمام أحمد: حديث السائب بن يزيد، رقم (١٥٧٢٤)، ج ٢٤/ ٥٠٠، والسنن الكبرى للنسائي: باب الحث على قيام =

وقد ذكر العلماء في تفسير قوله (لَا يتوسَّد الْقُرْآن) وَجْهَين:

أحدُهما: أنَّ هذا مَدْحٌ له بأنّه لَا يَنام عَن الْقُرْآن، ولَكِن يتهجّد بِهِ.

ومما يحمل على ذلك قوله- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "لَا توسَّدوا الْقُرْآن، واتلوه حقَّ تِلَاوَته"(١).

والآخر: أن هذا ذمّ له بأَنه لَا يقْرَأ الْقُرْآن، ولَا يَحفَظه، فَإِذا نامَ لم يكن مَعَه من الْقُرْآن شَيْء.

ومما يحمل على ذلك: مَا يرْوى أَن رجلا قَالَ لأبي الدَّرْدَاء: إِنِّي أُرِيدُ أَن أطلب الْعلم، فأخشى أَن أضيعه. فَقَالَ: "لِأَنْ تَتَوَسَّدَ الْعِلْمَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تتوسَّدَ الْجَهْلَ"(٢).

قال ابن الأثير في تفسير قوله- صلى الله عليه وسلم- (لا يتوسد القرآن):

"يَحْتَمِل أَنْ يَكُونَ مَدْحاً وذَمًّا، فالمَدْح مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَنام اللَّيلَ عَنِ القُرآن، ولَمْ يَتَهَجَّد بِهِ، فَيَكُونُ الْقُرْآنُ مُتَوَسِّدًا مَعَهُ، بَلْ هُوَ يُداوِم

=

الليل، رقم (١٣٠٧)، ٢/ ١١٧، والمعجم الكبير للطبراني: رقم (٦٦٥٤)، ٧/ ١٤٨.

(١) الحديث ورد في شعب الإيمان للبيهقي: فصل في إدمان تلاوة القرآن، رقم (١٨٥٢)، (١٨٥٣)، (١٨٥٤)، ٣/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) الخبر ورد في حاشية السندي على سنن النسائي: باب الحث على قيام الليل، ٣/ ٢٥٧، و(وسد) في: الفائق في غريب الحديث: ٥/ ٥٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٨٣.

قِراءتَه، ويُحافِظُ عَلَيْهَا. والذَّمُّ مَعْنَاهُ: لَا يَحْفَظ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، وَلَا يُديمُ قراءتَه، فَإِذَا نامَ لَمْ يَتَوسَّدْ مَعَهُ الْقُرْآنَ. وأرادَ بِالتَّوَسُّدِ النَّوْمَ"(١).

والمتأمل في الفعل (تَوَسَّد) يجد أنه على وزن (تَفَعَّلَ)، وهذا الفعل قد يأتي للاتخاذ، أي: لاتخاذ أصل ما اشتق منه ذلك الفعل، نحو: توسَّدت الحجرَ؛ أي: اتخذت الحجر وسادة. وقد يأتي للتجنب، أي: ليدل على أن الفاعل جانب ما اشتق الفعل منه، نحو: تأَثَّم زيدٌ، أي: جانب زيد الإثمَ. قال ابن الحاجب:

"و(تَفَعَّلَ) لمطاوعة (فَعَّلَ)، نَحْو: كَسَّرته فتكسَّر، وللتكلف نَحْو: تشجَّع، وتحلَّم، وللاتخاذ نَحْو: توسَّد، وللتجنب نَحْو، تأثَّم"(٢).

وعلى ذلك فاعتبار (تَوَسَّد) من باب الاتخاذ يفيد المدح، واعتباره من باب التجنب يفيد الذم.

* * *

٣- هُوَ هَشٌّ المَكْسِرِ

مما يستعمل في المدح والذم قولهم: (فُلَانٌ هَشٌّ المَكْسِر)، والمعنى: سهل الشَّأْن فِيما يطلب عنده من الحوائج(٣)، وقيل: سهل الجانب إذا سئل(٤).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: (وسد) ٥/ ١٨٣.

(٢) الشافية في علم التصريف: ٢٠.

(٣) ينظر: الصحاح: (هشش).

(٤) ينظر: (هشش) في أساس البلاغة، وتاج العروس.

وأصله: من كسرك العود لتخبره، أَصُلب هو أم رخو؟[١]، فـ(المَكْسِر) على هذا (مَفْعِلٌ) من (الكَسْر) اسم مكان، أي: المكان الذي يكسر منه العود؛ إذ المكسر من كل شيء: الأصل، ومكسر الشجرة: أصلها حيث تكسر منه أغصانها[٢].

وقد ضبطه الزبيدي بفتح الميم والعين دون تشديد، وبضم الميم مع فتح العين وتشديدها، فجعله مصدرًا ميميًّا من الثلاثي أو من غير الثلاثي، فقال:

"ومن المجاز: (رجلٌ هشٌّ المَكْسَر، والمُكَسَّر)، كـ(مَقْعَد، أو مُعَظَّم)، أي: سهل الشأن فيما يطلب منه، وعنده من الحوائج"[٣].

وهو يحتمل المدح والذم، فيكون للمدح: إِذا أَرَادوا أَن يَقُولُوا: لَيْسَ بصلّاد الْقدح، فيكنى به عن القوة والشدة والصلابة.

ويكون للذم: إِذا أَرَادوا أَن يَقُولُوا: هُوَ خوّار العود، فيكنى به عن الضعف والخور. يقول ابن السّكيت:

"يُرَاد بقَوْلهمْ: (فلانٌ هَشّ المَكْسِر) مَدْحٌ وذَمٌّ؛ فَإِذا أرادُوا أَن يَقُولوا: لَيْس هُوَ بِصلّاد القَدْح، فَهُوَ مَدْح، وَإِذا أَرَادوا أَن يَقُولوا: هُوَ خَوَّارُ العُود فَهُوَ ذَمٌّ"[٤].

* * *

(١) ينظر: (كسر) في المحكم، ولسان العرب، وتاج العروس.

(٢) ينظر: (كسر) في المحكم، وتاج العروس.

(٣) تاج العروس: (هشش).

(٤) الألفاظ لابن السكيت: ١٤٥.

٤- فُلانٌ جَعْدٌ

مما يستعمل في المدح والذم قولهم: (فلانٌ جَعْدٌ)، فتستعمل الصفة المشبهة (جَعْد) في المدح، **وتحتمل حينئذٍ معنيين**:

الأول: أن يكون معناها أنه معصوب الْخلق شَدِيد الْأسر. ومن وروده بهذا المعنى ما في الحديث: "عَلَى نَاقَةٍ جَعْدَةٍ"(١)، أَيْ: مُجْتَمِعة الخَلْق شَدِيدةٍ.

وَالثَّانِي: أَن يكون المعنى أن شعره جَعد غير سبط؛ لِأَن السبوطة أَكْثَرهَا فِي الْعَجم، فالمعنى هو عربي. ومن وروده بهذا المعنى ما جاء في الحديث: "أَنَّهُ سَأل أَبَا رُهَمٍ الغِفَاري: ما فَعل النَّفَر السُّودُ الجِعَاد؟"(٢).

وتستعمل في الذم، وتحتمل حينئذ معنيين:

أحدهما: القصير المتردّد الخلق. والآخر: البخِيل، يُقَالُ: رَجُل جَعْدُ اليَدَيْن.

يقول ابن الأثير:

"(الجَعْدُ) فِي صِفات الرِّجَالِ يَكُونُ مَدْحا وَذَمّا، فالمدْح: مَعْناه أَنْ يَكُونَ شَدِيد الأسْرِ والخَلْق، أَوْ يَكُونَ جَعْدَ الشَّعَر، وَهُوَ ضِدُّ السَّبْط؛ لِأَنَّ

---

(١) الحديث في مسند أبي يعلى: أول مسند ابن عباس، رقم (٢٥٤٢)، ٤/ ٤١٧.

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل: حديث أبي رهم الغفاري، رقم (١٩٠٧٤)، ٣١/ ٤٢٥.

السُّبُوطة أكْثَرُها فِي شُعور العجَم. وَأَمَّا الذَّم فَهُوَ القَصير المُتَردّد الخَلْق، وَقَدْ يُطْلق عَلَى البخِيل أَيْضًا، يُقَالُ: رَجُل جَعْدُ اليَدَيْن، ويُجْمَع عَلَى الجِعَاد"(١).

* * *

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٧٥.

الخاتمة

بعد التطواف والبحث في الألفاظ والأساليب التي تناولها البحث بالدراسة تبين ما يلي:

١- تنوعت أساليب المدح والذم غير القياسية بين الأسلوب الخبري، كقولهم: لله أبوك، ولا أبا لك، وغير ذلك كثير، والأسلوب الإنشائي، كالاستفهام والنداء.

٢- من الألفاظ ما يفيد المدح بسبب العموم، كالوصف بالمصدر أو باسم الفاعل، والوصف بـــ(أيّ)، والوصف بـــ(ما)، والنفي في نحو قولهم: ما هذا بشرًا، ولا أبا لك، أو بسبب الإبهام، كالاستفهام.

٣- من الألفاظ ما يفيد المدح بسبب الإيضاح بعد الإبهام، كعطف البيان، أو التخصيص بعد التعميم، كالاختصاص أو النداء.

٤- من الألفاظ ما يفيد المدح أو الذم بسبب إضافته إلى ما يتضمن معناه ذلك، ومن ذلك قولهم: نسيج وحده، وقريع وحده، وجحيش وحده، وأحد الأحدين، ونحو ذلك مما هو مبين في ثنايا البحث.

٥- من الألفاظ ما يفيد المدح أو الذم بسبب الزيادة، كزيادة (أل) في العلم للمح الصفة، وزيادة هاء التأنيث للمبالغة في الوصف.

٦- من الألفاظ ما يحتمل معناه المدح والذم معًا، والذي يخصصه لأحدهما هو سياق الكلام، ومن ذلك قولهم: فلانٌ بيضةُ البلد، وفلانٌ جعدٌ.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا

ثبت أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الإبانة في اللغة، لسلمة بن مسلم العوتبي، ت/ عبد الكريم خليف وآخرون، ط وزارة التراث القومي والثقافة- عمان، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، ت/ رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٥- أساس البلاغة، للزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦- إسفار الفصيح، لأبي سهل الهروي، ت/ أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٧- الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج، ت/ عبد الحسين الفتلي، ط مؤسسة الرسالة.

٨- إصلاح المنطق، لابن السكيت، ت/ محمد مرعب، ط دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩- الأضداد، لأبي بكر الأنباري، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية- بيروت، ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ت/ سمير جابر، ط دار الفكر- بيروت، ط الثانية.

١١- الأفعال، لسعيد بن محمد المعافري، ت/ حسين محمد محمد شرف، ط مؤسسة دار الشعب- مصر، ط ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٢- الألغاز النحوية (الطراز في الألغاز)، لجلال الدين السيوطي، ط المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣- الألفاظ، لابن السكيت، ت/ فخر الدين قباوة، ط مكتبة لبنان ناشرون، ط الأولى ١٩٩٨م.

١٤- ألفية ابن مالك، ط دار التعاون.

١٥- أمالي ابن الحاجب، ت/ فخر صالح سليمان قدارة، ط دار عمار- الأردن، ودار الجيل- لبنان، ط ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٨- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ت/ صدقي محمد جميل، ط دار الفكر- بيروت، ط ١٤٢٠هـ.

١٩- البديع في العربية، لمجد الدين بن الأثير، ت/ فتحي أحمد علي الدين، ط جامعة أم القرى- السعودية، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٢١- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، ط دار الهداية.

٢٢- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، ت/ حسن هنداوي، ط دار القلم- دمشق ج(١-٥)، ودار كنوز إشبيليا (بقية الأجزاء)، ط الأولى.

٢٣- التصريح بمضمون التوضيح في النحو (شرح التصريح على التوضيح)، للشيخ خالد الأزهري، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الفارسي، ت/ عوض بن حمد القوزي، ط جامعة الملك سعود، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٥- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، ت/ علي محمد فاخر وآخرون، ط دار السلام للطباعة والنشر- القاهرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ.

٢٦- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، ت/ محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى ٢٠٠١م.

٢٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لابن أم قاسم المرادي، ت/ عبد الرحمن علي سليمان، ط دار الفكر العربي- القاهرة، ط الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٨- الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ فخر الدين قباوة، ط مؤسسة الرسالة، ط الخامسة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٩- جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، ت/ رمزي منير بعلبكي، ط دار العلم للملايين- بيروت، ط الأولى ١٩٨٧م.

٣٠- حاشية السندي على سنن النسائي، لمحمد بن عبد الهادي التتوي أبي الحسن السندي، ط مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان، ت طه عبد الرءوف سعد، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢- حروف المعاني والصفات، لأبي القاسم الزجاجي، ت/ علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى ١٩٨٤م.

٣٣- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، ت/سعيد عبد الكريم سعودي، ط دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت.

٣٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، ط الرابعة ١٤١٨هـ/ ١٦٩٧م.

٣٥- الخصائص، لأبي الفتح بن جني، ت/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الرابعة.

٣٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ت/ أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

٣٧- ديوان الأخطل، شرح وتعليق/ مهدي محمد ناصر الدين، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٨- ديوان الأدب، للفارابي، ت/ أحمد مختار عمر، ط مؤسسة دار الشعب- القاهرة، ط ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٩- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ت/ محمد حسين، ط ١٩٥٠م.

٤٠- ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، ت/ نعمان محمد أمين طه، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤١- ديوان ذي الرمة، ت/ كارليل هنري هيس مكارتني، ط مكتبة كلية كمبريج، ط ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م.

٤٢- ديوان رؤبة بن العجاج، ضمن مجموع أشعار العرب، ت/ وليم بن الورد البروسي، ط دار ابن قتيبة للطباعة والنشر- الكويت.

٤٣- ديوان عروة بن الورد، ت/ أسماء أبو بكر محمد، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٤- ديوان الفرزدق، ضبطه/ إيليا الحاوي، ط دار الكتاب اللبناني، ط الأولى ١٩٨٣م.

٤٥- ديوان النابغة الذبياني، ط مطبعة الهلال بالفجالة- مصر، ط ١٩١١م.

٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، ت/ علي عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٤٧- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري، ت/ حاتم صالح الضامن، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٨- الزهد، لأبي داوود السجستاني، ت/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد وآخرين، ط دار المشكاة للنشر والتوزيع- حلوان، ط الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٩- سفر السعادة وسفير الإفادة، لعلم الدين السخاوي، ت/ محمد الدالي، ط دار صادر- بيروت، ط الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٠- سنن أبي داوود، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية- بيروت.

٥١- سنن ابن ماجه، ت/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط مؤسسة الرسالة العالمية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥٢- السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، ت/ محمد عبد القادر عطا، ط دار الباز- مكة المكرمة، ط ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥٣- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن النسائي، ت/ حسن عبد المنعم شبل، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٥٤- الشافية في علمي التصريف والخط، لابن الحاجب، ت/ صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب- القاهرة، ط الأولى ٢٠١٠م.

٥٥- شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، ت/ محمد علي الريح هاشم، ط مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الفكر- القاهرة، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥٦- شرح الأبيات المشكلة الإعراب (كتاب الشعر)، لأبي علي الفارسي، ت/ محمود محمد الطناحي، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٧- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لأبي الحسن الأشموني، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار التراث- القاهرة، ط العشرون ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥٩- شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، ت/ عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط دار هجر للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٠- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، ت/ صاحب أبو جناح، ط منشورات وزارة الأوقاف العراقية.

٦١- شرح ديوان الحماسة، لأبي زكريا التبريزي، ط دار القلم- بيروت.

٦٢- شرح ديوان الحماسة، لأبي علي المرزوقي، ت/ غريد الشيخ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٣- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، ت/ عبد الغني الدقر، ط الشركة المتحدة للتوزيع- سوريا.

٦٤- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب العربية، لمحمد بن محمد حسن شراب، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٦٥- شرح شواهد المغني، لجلال الدين السيوطي، ت/ أحمد ظافر كوجان، والشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ط لجنة التراث العربي، ط ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٦٦- شرح القصائد العشر، لأبي زكريا التبريزي، ط إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.

٦٧- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة، ط الحادية عشر ١٣٨٣هـ.

٦٨- شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت/ عبد المنعم أحمد هريدي، ط جامعة أم القرى، ط الأولى.

٦٩- شرح الرضي على الكافية، لمحمد بن الحسن الرضي، ت/ يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بني غازي، ط الثانية ١٤١٦هـ.

٧٠- شرح المفصل، لأبي البقاء بن يعيش، ت/ إميل بديع يعقوب، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧١- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، ت/ عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٧٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي إسماعيل الجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور العطار، ط دار العلم للملايين- بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٣- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٧٤- ضرائر الشعر، لابن عصفور، ت/ السيد إبراهيم محمد، ط دار الأندلس للطباعة والنشر، ط الأولى ١٩٨٠م.

٧٥- علل النحو، لأبي الحسن بن الوراق، ت/ محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد- الرياض/ السعودية، ط الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٧٦- غريب الحديث، لأبي الفرج ابن الجوزي، ت/ عبد المعطي أمين القلعجي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧٧- غريب الحديث، للقاسم بن سلام الهروي، ت/ محمد عبد المعيد خان، ط مطبعة دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد، ط الأولى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٧٨- الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، ت/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة- بيروت، ط الثانية.

٧٩- الفاخر، للمفضل بن سلمة، ت/ عبد العليم الطحاوي، ط عيسى البابي الحلبي، ط الأولى ١٣٨٠هـ.

٨٠- القاموس المحيط، للفيروزابادي، ت/ مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الثامنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨١- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر العربي- القاهرة، ط الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٢- الكتاب، لسيبويه، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي- القاهرة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، ط دار الكتاب العربي- بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٨٤- اللامات، لأبي القاسم الزجاجي، ت/ مازن المبارك، ط دار الفكر- دمشق، ط الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٥- اللباب في علل الباء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، ت/ عبد الإله نبهان، ط دار الفكر- دمشق، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٨٦- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، ط دار صادر- بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

٨٧- اللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ، ت/ إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- السعودية، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٨٨- اللمع في العربية، لابن جني، ت/ فائز فارس، ط دار الكتب الثقافية- الكويت.

٨٩- مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة- بيروت.

٩٠- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر بن علي الصديقي الهندي، ت/ ط مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط الثالثة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٩١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح ابن جني، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩٢- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة، ت/ عبد الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٣- المخصص، لابن سيدة، ت/ خليل إبراهيم جفال، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٩٤- المسائل البصريات، لأبي علي الفارسي، ت/ محمد الشاطر أحمد، ط مطبعة المدني، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٥- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، ت/ محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٩٦- مسند الإمام أحمد، ت/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٩٧- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لجمال الدين ابن حديدة، ت/ محمد عظيم الدين، ط دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٨- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، ت/ كمال يوسف الحوت، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٩٩- معاني القرآن، لأبي زكريا لفراء، ت/ أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط الأولى.

١٠٠- المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، ت/ طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين- القاهرة.

١٠١- معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ت/ الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، ط مؤسسة النشر الإسلامي، ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٠٢- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، ت/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط الثانية.

١٠٣- المعجم المفصل في شواهد العربية، لإميل بديع يعقوب، ط دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٤- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط دار الدعوة.

١٠٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، ت/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط دار الفكر- دمشق، ط السادسة ١٩٨٥م.

١٠٦- المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، ت/ د علي بو ملجم، مكتبة الهلال- بيروت، ط الأولى ١٩٩٣م.

١٠٧- مقاييس اللغة، لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٨- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية/ لبدر الدين العيني، ت/ ا.د علي محمد فاخر وآخرين، ط دار السلام للطباعة والنشر- مصر، ط الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٠٩- المقتضب، للمبرد، ت/ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، ط عالم الكتب- بيروت.

١١٠- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السهيلي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١١١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت/ محمود محمد الطناحي، وطاهر أهمد الزاوي، ط المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، ت/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر.

* * *

محتويات البحث

المقدمة

تمهيد

المبحث الأول: ما يستعمل في المدح دون الذم.

١- هذا رجلٌ هدّك من رجل.

٢- هذر رجلٌ حسبُك من رجل.

٣ هذا رجلٌ (شرعُك، أو كفيُك، أو همّك، أو نحوُك) من رجل.

٤- هذا رجلٌ كافيك من رجل، وناهيك من رجل.

٥- مررت برجل ما شئت من رجل.

٦- الوصف بـــ(أيّ).

٧- لله أبوك.

٨- لله درّه.

٩- ذاك أحد الأحدين.

١٠- فلان نسيج وحده.

١١- عطف البيان.

١٢- النداء.

١٣- الاختصاص.

١٤- أسلوب الاستفهام.

١٥- أسلوب النفي.

١٦- أبيت اللعن.

المبحث الثاني: ما يستعمل في الذم دون المدح.

١- قولهم: لا أمّ لك.

٢- (فُعَل، وفَعَال) في النداء.

المبحث الثالث: ما يستعمل في المدح والذم.

١- تعريف العلم بـــ(أل).

٢- لا أبا لك.

٣- الوصف بـــ(كُل، وجِدّ، وحقّ).

٤- قطع التابع عن متبوعه.

٥- (مَفعَلان) في النداء.

٦- زيادة هاء التأنيث.

المبحث الرابع: ما يحتمل المدح والذم.

١- هو بيضة البلد.

٢- فلان لا يتوسّد القرآن.

٣- هو هشّ المَكسِر.

٤- فلان جَعْدٌ.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

محتويات البحث.

* * *